

سلسلة اعلام الفكر العالمي



سكار اليد



0098731

Bibliotheca Alexandrina

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

تأليف: سلمان التكريتي

اوسكار وايلد

مسلسلة اعلام الفكر العالمي

أوسكار وايلد

تأليف: سليمان التكريتي

رقم الكتاب	20.92
رقم التصنيف	123
رقم المكتبة	COV 21

المؤسسة العربية للدراسات والبحوث

دمشق - سورية
الطبعة الأولى: 1410 هـ
الطبعة الثانية: 1411 هـ

جميع الحقوق محفوظة
للمؤسسة العربية للدراسات والنشر

الطبعة الاولى
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧

لا اخفي شيئاً عن القارئ
العربي بعد ان اصبحت هذا
الكتاب بين يديه من الاشارة الى
ما بذلته السيدة سهام جعفر
الموسوي من جهود بمراجعتها
معني اكثر النصوص التي قمت
بترجمتها عن المراجع الانكليزية،
فلتسمح لي ان اقدم لها شكري
وثنائي العاطرين ، اما ان
ظهرت اخطاء في الكتاب فلا
يتحملها أحد سواي .

المقدمة

ان تراث الفكر السياسي الذي كان قد اكتسبه اوسكار وايلد من بيئته ، لا شك لم يكن عديم الاثر في تكوينه النفسي والاجتماعي والسياسي . فان ايرلندا كانت وما زالت تعتبر نفسها مهضومة الحقوق بالنسبة لانكلترا . وهذا ما خلق الروح الثورية عند الايرلنديين عامة . وليست السخرية والنقد الاجتماعي الا صورة من صور هذه الروح الثورية التي كان ابرز اشخاصها من الابداء والمفكرين برنارد شو وجيمس جويس ثم اوسكار وايلد . وبالإضافة الى ذلك فان ام اوسكار وايلد نفسها كانت شخصية سياسية وذات قلم سياسي سيال . وليس من المعقول ان لا تترك اثرا في ذات اوسكار وايلد ، كما ان صديقه وقرينه وابن مدينته برنارد شو لعب دورا في التأثير على فكر اوسكار كما كان لجون راسكن (١٨١٩ - ١٩٠٠) مثل هذا التأثير لكثرة ما كان يرتاد مع برنارد شو المحافل السياسية الاشتراكية بصورة خاصة علما ان برنارد شو كان عضوا في الجمعية الفابية — ذات الافكار الاشتراكية التدرجية . لكننا نعرف ايضا ان المذهب الرومانسي الذي تزعمه في تلك الفترة اوسكار وايلد ، انما هو ايضا صورة

من صور نقد الواقع وفضح الطبقات المترفة ما بين اقطاعية ورأسمالية وبورجوازية من ناحية ، والطموح الى مجتمع انساني مثالي الذي كان الادباء يبحثون عنه في ثنايا النفس الانسانية وبمواقف الانسان العاطفية الخالدة ٠٠٠ الحب ٠٠٠ الاخلاص ٠٠٠ التضحية ، التي قد تنتهي بمواقف ميلودرامية رفيعة ونبيلة وعميقة الفاجعة من ناحية ثانية ٠ وكامتداد للادب الرومانسي ، ظهر المذهب الرمزي ومذهب الادب للادب على غرار مذهب الفن للفن ٠ وقد وقع خلط كبير بين المذهب الرومانسي من ناحية ومذهب الادب للادب ٠ ولكن حتى وان اختلفت اهداف هذين المذهبين الادبيين ، الا ان التشابه الموجود بينهما في مهمة البحث عن الجمال وابرازه وتمثيله هو الذي اوقع في هذا الفهم ٠ وقد يكون من الضروري جدا ان نعلم ان مذهب الفن للفن قد اشتدت دعوته في اواخر القرن التاسع عشر وبصورة خاصة بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٦ ٠ وقد نادى جماعة هذا المذهب الى الرجوع بالادب والفن الى ما قبل الرفائيلية ٠ وقد لا نغالي اذا قلنا ان الرمزية التي ابتدعها ايسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦) كانت لخدمة الحياة والمجتمع ٠ وهي لذلك لم تكن عند مؤسسها في العصر الحديث مقاومة للمذهب الواقعي ولا رد فعل له ٠ لكن الرموز التي يستعملها الاديب لا شك هي باعثة للصور الجميلة والافكار الغامضة التي يحسها القارئ من ناحية ، والناقد من ناحية ثانية ، انها سقوط في نظرية الادب ، لانها تمثل الجمال، وتمثل الحقائق غير الواقعية، والمثل التي لا علاقة مادية لها ٠ والمتأمل لحياة الادباء الرمزيين

بدءاً من اكبر ممثل للرمزية وهو الاديب المسرحي النرويجي
 ايسن ثم اندجار آلان بو (١٨٠٩ - ١٨٤٩) ورامبو (١٨٤٢ -
 ١٨٩٨) وموريس مترلنسك (١٨٦٢ - ١٩٤٩) وانطوان
 تشيخمخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) وليونيد اندرييف (١٨٧٠ -
 ١٩١٩) ومالاراميه (-) وفيرلين (١٨٤٤ -
 ١٨٩٦) ثم اوسكار وايلد (١٨٥٦ - ١٩٠٠) ، فانه سيجد ان
 اللجوء الى الرمز ، انما هو الخوف من الاعلان ، والمجاهرة
 بالمعارضة ، خاصة اذا كان المجتمع محافظاً من ناحية ، وسلطته
 ارهابية من ناحية ثانية ، فيضطر الاديب الى الرمز واللغز
 او الغموض ، ليتمكن من التمويه على المتتبع او الرقيب ، وحتى
 يأمن ايضاً غائلة العقاب والوقوع تحت طائلة القانون الذي
 يستغله اصحاب النفوذ ، ليضطهدوا هؤلاء الاحرار الذين
 يدافعون عن طبقات الشعب المسحوقة والمستغلة ، ويحمون القيم
 والمثل الانسانية النبيلة التي تحقق شرف الانسان وكرامته .
 فالرمزية هي وسيلة من وسائل نقد المجتمع والتبشير بالآراء
 الخيرة ومهاجمة تناقضات المجتمع والتشهير بها . والكتابات
 الرمزية لم تكن في رأي الكثير من الرمزيين الا محاولة في
 انقاذ الادب من الآنية ، وجعله للعرض في كل زمان ومكان .
 وهذا هو الذي ادى من ناحية ثانية الى الوقوع في مذهب الفن
 للفن ، الذي يرفض انصاره ان يكون في خدمة المجتمع ، بل
 ليس خدمة اي شيء ما خلا خدمة الفن ذاته . اما اوسكار
 وايلد ، فقد كان متناقضاً في الوقت نفسه . فبينما كان يحمل
 بذور الفكر الاشتراكي والروح الثورية والنقدية الاجتماعية

التي ورثها عن المجتمع الايرلندي ، كما ظهر ذلك عنده في مسرحيته المعروفة بعنوان « العديمون اوفيرا » ، وفي عدد من اقاصيصه القصيرة مثل (المارد) الاناني ، وكان اوسكار ايضا يمثل النزعة الانسانية المثالية التي تعتمد العاطفة الذاتية والمواقف المساوية كما في قصته الرومانسية (العندليب والزهرة) ، فالاهتمام بهذه الامور العاطفية النبيلة والانسانية الخالدة والنقدية الاجتماعية قد تشفع لاوسكار وايلد باعتباره قد حقق موقفا انسانيا خالدا . لكن لانه كان يعيش في بيت بورجوازي ، والده طبيب ، وامه مثقفة ولم يتعرض الى حياة البؤس والشقاء اللذين يورثانه الفاقة والعوز ، بل كان يرى الدار التي يسكنها مع والديه تعج في بعض الاماسي من كل اسبوع بصنوف الناس المثقفين واصحاب المراكز الاجتماعية المرموقة ، والسياسيين والادباء والفنانين . فهو لم يتعرف عن قرب الا على الحياة المترفة ، ولم يتعرض للمشكلات التي يتعرض لها ابن الشعب البسيط الذي يمارس العمل وهو طفل ويتعرض للمخاطر المهنية والحرفية وهو صبي او شاب ، خاصة بعد ان نمت الحياة الصناعية في انكلترا وامتد الانقـلاب الصناعي الى كل مكان فيها ، حتى غطى دخان المصانع سماوات القرى والارياف . ولم تكن انكلترا تختلف في التطور الاقتصادي عن فرنسا التي اندلعت فيها عدة ثورات سياسية بسبب البون الشاسع في الحياة المعاشية للطبقات الاجتماعية ، ان لم تكن انكلترا قد سبقت فرنسا بالانقلاب الصناعي الذي يؤرخه علماء الاجتماع بعام ١٧٦٠ : ونتيجة للتطور الذي

حصل في ميدان الحياة الصناعية وتطور وسائل الانتاج وتنامي رؤوس الاموال . فان آثارا جديدة ظهرت على الحياة الاجتماعية ، فقد تنامت الطبقة العاملة ، وظهر عند افرادها التخصص الذي يمثل مرحلة جديدة في دقة عملية الانتاج وسرعتها . لكنه من ناحية ثانية تمثل اقصى عملية استغلال تمارسها الطبقة الرأسمالية التي سيطرت على وسائل الانتاج في الدول المتطورة . وقد كانت بريطانيا بالذات تعج بالمشكلات الاجتماعية الجديدة التي نتجت عن تطور الحياة الاقتصادية نتيجة الانقلاب الصناعي ، ورسوخ الصناعة ذات الانتاج الكمي جماعيا ، واستقلال المرأة وتفتت القطاعات ، وتحول رؤوس الاموال الزراعية الى رؤوس اموال صناعية وعقارية ، وقضت المصانع الكبيرة على الورشات الصغيرة والمانيفاكچورات وظهرت الكارتيلات والتروستات ، وغزا الاسطول البحري البريطاني الاسواق العالمية ، يبحث له عن مستعمرات يستنفد مواردها الاولى ومخزونات خاماتها الطبيعية . واخذت الطبقة الرأسمالية تثري على حساب الطبقات الفقيرة المتمثلة بطبقتي العمال والفلاحين سواء في البلد نفسه ، ام في البلدان المستعمرة . وبدأت صرخة الادباء والمفكرين ضد الحياة الجديدة . فاعتبرها العديد من هؤلاء المفكرين مناقضة لانسانية الانسان ، ونادوا بضرورة العودة الى الطبيعة وحياة البساطة ، وثار عدد آخر منهم ضد هذه المظاهر الحديثة التي خلفها الانقلاب الصناعي . فظهر في مطلع القرن التاسع عشر كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) في المانيا الذي كتب اكثر مؤلفاته

الاقتصادية وفلسفة الاشتراكية في انكلترا ، وهو على علاقة حميمة بصديقه فريدريك أنجلز . ودعا هذان المفكران الى ثورة اشتراكية تستلم فيها الطبقة العاملة مقاليد السلطة . وبالإضافة الى ذلك فقد ظهر في هذه الفترة أيضا مفكرون وفلاسفة ومنظرون آخرون آمنوا بالاشتراكية ودعوا لها ، لكنهم آمنوا بالاشتراكية انسانية وليست اشتراكية علمية ، سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥) وشارل فوربيه (١٧٧٢ - ١٨٣٧) في فرنسا وروبرت أوين وبرودون في انكلترا . وقد كانت هذه الاشتراكيات اشتراكيات اصلاحية تدرجية ، قد يكون حزب العمال في انكلترا اخذ شيئا من هذه الفلسفة التدرجية في نقل البلاد من حالة سيئة الى حالة حسنة دون احداث تغيير طفروي مفاجيء . وعلى هذا الاساس تألفت الجمعية الفابية ، التي اختطت لها فلسفة تدرجية لاصلاح المجتمع، وكان من زعماء هذه الجمعية سيدني ويباتريس ديب وهـ.جـ. ويلز وجورج برنارد شو .

كانت اوربا في غمار احداث هذا القرن - التاسع عشر - تمر بمخاض اعصاري شديد ، بفعل الابنية الجديدة التي اخذت تظهر في انظمة الحكم ، فبدأ الميزان الطبقي في المجتمع الاوروبي يتغير ، بعد انتقال هذا المجتمع من الحياة الزراعية الاقطاعية الى الحياة الصناعية الرأسمالية . فازدحمت المدن، وهجرت العوائل الريف ، وغصت غرف العمارات بالفقراء ، واكتسح المدارس أبناء العمال وتنامت الحياة الاقتصادية ،

وتركزت الثروات بيد اعداد ضئيلة من الصناعيين الذين تحولوا الى رأسماليين ، احتلوا مكانة الاقطاعيين ونبالتهم . واشتد التناقض من جديد بين طبقات المجتمع المتعددة . وبعد ان كان الصراع مريرا بين طبقة الفلاحين من ناحية وطبقة الاقطاعيين من ناحية ثانية ظهر صراع جديد بين طبقة العمال في الحياة الصناعية الجديدة وطبقة الرأسماليين . ولكن بالإضافة الى الصراع السلمي الذي وقع في المجتمعات الصناعية المتطورة ، فقد نشبت الثورات العاتية في مجتمعات اخرى ، مع ان التطور الصناعي لم يبلغ مرحلة مجتمع انكلترا الذي سبق تلك المجتمعات بالانقلاب الصناعي . ففي فرنسا اندلعت في اواخر القرن الثامن عشر الثورة الفرنسية ١٧٨٩ التي قوضت عروش الملوك ومرغت تيجان الملكية وهدت سجن الباستيل معقل طغيان النظام الملكي ، وفي عام ١٨٤٨ قامت ثورة شباط البلانكية ، نسبة الى المفكر بلانك (لوي اوغست) ١٨٠٥ - ١٨٨١ الشخصية المشهورة في الحركة العمالية في اواسط القرن التاسع عشر ، الذي رفض مبدأ المنافسة الحرة ، وحرية الصناعة ، وعدم التدخل فيها ، واصدر صحيفة (الوطن في خطر) . وقد تسلمت قيادة ثورة شباط البلانكية الطبقة البورجوازية (المتوسطة) كما تسلمت سابقتها الثورة الفرنسية . وفي عام ١٨٧١ قامت اول ثورة اشتراكية في التاريخ بقيادة الطبقة العاملة ، تلك هي كومونة باريس ، وقد ساند هذه الثورة المثقفون الثوريون وساهموا في النضال من اجل حمايتها . وقد تسلمت الطبقة العاملة السلطة فعلا لمدة

شهر واحد ، لكن تدخلت جميع القوى الرجعية في الاقطار المجاورة لخلق هذه الثورة والاجهاز عليها ، فاسيلت دماء العمال التي اختلطت بدماء المفكرين والادباء والمثقفين الثوريين الاشتراكيين ، وضربت شوارع باريس ولطخت جدران بيوتها .

ان هذا الاستطراد الذي اندفعنا اليه ، يقودنا الى القول ان الفكر الانساني متصل زمنيا مثلما هو متصل مكانيا ، فلا تفصله حدود الارض الطبيعية من جبال وغابات وانهار وبحيرات وبحار ، كما لا تفصله اوقات الزمان والقرون . فلقد توالى الثورات في العالم منذ ثورة العبيد في روما بقيادة سبارتكوس ، والثورات العربية التي تمثلت بظهور الاسلام - في الوطن العربي - ضد تراكمت الجاهلية الجهلاء والعبودية والاسترقاق ثم ثورة الزنج والقرامطة ، وحتى ثورة الدويلات الايطالية بقيادة غاريبالدي لتوحيد ايطاليا ، وثورة توحيد المانيا بقيادة بسمارك باعتبار ان الوحدة هي الحالة الصحية والصحيحة ، والتجزؤ هو الحالة المرضية والخاطئة : ولم تنفصل هذه الثورات عن ثورة اليونان ثم الصرب والعرب ضد الامبراطورية العثمانية في اوائل القرن العشرين . كما لم تنفصل عن الثورة الفرنسية مع سيطرة الطبقة البورجوازية التي جعلت من الطبقة العاملة وسيلة الثورة ووقودها ، او ثورة شباط البلانكية او كومونة باريس . وقد كان الادباء والمفكرون وراء هذه الثورات يغذونها بافكارهم وثورتهم ونضالهم ولا يخلون حتى بدمائهم ، فكم من مفكر واديب قاسى مرارة النفي والتعذيب والسجن والتشريد !! وكم

من ادباء وصلوا اعواد المشائق او كادوا ٠٠ فقد وقف رامبو
 وغيرلين (١٨٤٤ - ١٨٩٦) الى جانب كومونة باريس وانشدا
 لها مثلما انشد قبلهما روجيه دو ليل للثورة الفرنسية بنشيد
 المارسيليز المشهور ٠ ومثلما تعرض دستوفسكي (١٨٢١ -
 ١٨٨١) الى عذاب النفي والتشريد بعد ان انقذ من حبس
 المشنقة لثوريته ووقفه الى جانب الحركة الثورية ضد الطغيان
 القيصري في روسيا في القرن التاسع عشر ، وقف ايضا
 اللورد بيرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤) الى جانب الثورة اليونانية
 ضد الامبراطورية العثمانية حتى قتل برصاصها ٠ ومثلما كان
 القرن الثامن عشر قرن الانقلاب الصناعي ، كذلك كان قرن
 الثورة العلمية ، فقد ظهر في هذا القرن جيمس واط (١٧٣٦ -
 ١٨١٩) وادموند كارتررايت (١٧٤٣ - ١٨٢٣) في انكلترا
 واميديو اوفاكادرو (١٧٧٠ - ١٨٥٦) في ايطاليا واندريه
 امبير (١٧٧٥ - ١٨٣٥) وارثور موران (١٧٩٥ - ١٨٨٠)
 في فرنسا ، وظهرت مصانع السلاح المدمر لقمع حركات
 الشعوب التحررية ونهب خيراتها ٠ فلم يكن الادباء بعيدين
 عن هذا ، اذ انهم في ثوراتهم الادبية والمفكرون في ثوراتهم
 الفلسفية والفنانون في ثوراتهم الفنية الا محاولين قلب المفاهيم
 البالية ٠ فكانت فلسفة عمانوئيل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤)
 النقدية ثم فلسفة هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١) الديالكتيكية
 وفلسفة اوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) الوضعية الذين
 انزلوا الفلسفة من السماء الى الارض كما
 فعلت قبل خمسة وعشرين قرنا من هذا

الزمان او قريبا من ذلك الفلسفة السوفسطائية
في انزال الفلسفة من المثال الى الواقع بفكر انكساغوراس
(٥٠٠ ق م - ٤٢٨ ق م) و بروتاغوراس (٤٨٠ ق م -
٤١٠ ق م) السوفسطائيين ، فكانت ايضا ثورات في الادب
والفن ، فثار الادباء والفنانون على المذاهب التقليدية
(الكلاسيكية) وظهر المذهب الرومانسي الذي مثله بيرون
و كيتس (١٧١٥ - ١٨٢١) وشيللي (١٧٩٢ - ١٨٢٢) في
انكلترا و اناتولي فرانس (١٨٤٤ - ١٩٢٤) و لامرتين (١٧٩٠ -
١٨٦٩) في فرنسا الذي ما ان نما وترعرع حتى ظهر المذهب
الطبيعي ثورة على الرومانسية ونقضا لها ، في ادب اميل زولا
(١٨٤١ - ١٩١٩) وستاندال (١٧٨٣ - ١٨٤٣) وميرمييه
(١٨٠٣ - ١٨٧٠) والكسندر دوماس (١٧٦٢ - ١٨٠٦)
وشاتوبريان (١٧٦٨ - ١٨٤٨) في فرنسا وولتر سكوت
(١٧٧١ - ١٨٣٢) وجين اوستن (١٧٧٥ - ١٨١٧) واميلي
وشارلوت برونتي (١٨٢٦ - ١٨٥٥) في انكلترا وفي الواقعية
النقدية عند ككول (١٨٥٢ -) في روسيا ، وقد تطور
هذا المذهب الى الواقعية الاجتماعية في ادب تشارلز ديكنز
(١٨١٢ - ١٨٧٠) وتوماس هاردي (١٨٤٠ - ١٩٢٨) و جاك
لندن (١٨٧٦ - ١٩١٦) في انكلترا وفكتور هوغو (١٨٠٢ -
١٨٨٥) في فرنسا ودستوفسكي (١٨٢١ - ١٨٨١)
وتولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤)
وغوركي (١٨٦٩ - ١٩٣٦) في روسيا . فهؤلاء الادباء ظهوروا
ثورة ضد المفاهيم التي كانت تخدم الطبقة البورجوازية باعتبار

الادب غذاء لهذه الطبقة وافرادها . فوقف هؤلاء الادباء مع الطبقات المسحوقة التي انحدروا منها او التي يمثلونها فعلا ، خاصة وان اكثرهم من الفئات البورجوازية التي تتعرض للاضطهاد الاجتماعي والقهر الاقتصادي الذي يفرضه عليهم المجتمع الرأسمالي الذي نما وتكامل استغلالا بعد فتح الاسواق التجارية وتنامي رؤوس الاموال ليس الى حد البطر بل الى حد التضخم والتعرض الى هزات عنيفة وارمات خائفة . فأخذ الفكر الاشتراكي يلعب دورا في الثورات السياسية ، وغالبا ما كان يتغلغل في الادب والفن . لكن لان الطبقات الرأسمالية والاقطاعية والبورجوازية ما زالت هي التي تسيطر على الحياة الاجتماعية ، وتستغل الطبقات المستضعفة وتحرك التيارات السياسية ، فقد ظهر ادياء من هذه الطبقات كانوا يتعاطفون مع الحركات الانسانية التي تعمل على تحرير الانسان من ظلم اخيه الانسان ، الا انهم لم يتمكنوا من اعلان هذه الثورة صريحة جريئة ، فانحازوا عن غير علم الى مذاهب ثائرة ، لكنها ليست ثورية تمثلت في مذاهب الادب للادب والفن للفن ثم المذهب الرمزي . وكان على رأس هؤلاء الاديب النرويجي هنريك ابسن ، وبودلير (١٨٢١ - ١٨٦٧) في فرنسا . وظهر في خضم هذا الصراع اوسكار وايلد الذي نشأ نشأة بورجوازية في بيت مثقف بورجوازي . ومع ان امه جين فرنسيسكا (سبيرانزا) (١٨٢٤ - ١٨٩٦) كانت قومية ثورية تعمل في الحركة الايرلندية القومية ضد الاضطهاد الانكليزي ، الا انه لم يتمكن من الانغماس في هذا الميدان ، ولو انه كان

وقع تحت تأثير صديقيه جون راسكين وبرنارد شو ، فكانت روحه مع هؤلاء حتى انه كتب بحثا في موضوع الاشتراكية التي اوشك على الايمان بها . ولا شك ان عفن الطبقة الارستقراطية وتفسخ الطبقة البورجوازية اللتين كانتا تحتضنان الادباء والفنانين ، هي التي افسدت ايضا هؤلاء الادباء والفنانين . فسرى هذا التفسخ الخلقي في الحياة الاجتماعية للطبقة البورجوازية ، الى المثقفين الذين كانوا يحاولون التشبه بجياة افراد هذه الطبقة المتفسخين ، وقد تفسخ فعلا اكثر هؤلاء المثقفين نتيجة اتصالهم الوثيق او ارتباطهم الحميم بهذه الطبقة . فاذا باوسكار وايلد ابن هذه الطبقة وضحيتهما ايضا ، اذ هي التي قادته الى تكوين العلاقة القذرة بصديقه الحميم الفرد دوغلاس التي كانت نتيجتها سجن اوسكار لمدة سنتين ، خرج بعدهما مهيض الجناح كسير خاطر ، فاطر النفس ، ضعيف الجنان ، خائب الامل بكل ما يحيط به ، حتى انه لم يتمكن من ان يمسك القلم بعد خروجه من السجن ويخط عملا ادبيا جديدا سوى قصيدته المعروفة انشودة سجن ريدينك جيل) . وفي السجن جرحت ذاته ، اذ وقعت تحت ارهاصات السجن الانفرادي ، فخبث في نفسه روح الابداع ، ولكن لم تتحطم روح الغرور والاستعلاء اللذين اشتهر بهما ، مع ان عواطفه الانسانية في حبه الخير الانساني ظل بارزا في سلوكه . ومع كل ذلك ، فهو بعد ان خرج من السجن ، اذ به شخصية اخرى خاصة بعد ان انتهت علاقته بزوجته بالطلاق ، وقبل ان يخرج من السجن ، فحرم من رؤية زوجته ،

كما حرم من رؤية ولديه اللذين لم يكحل عينيه برؤيتهما منذ ان دخل السجن عام ١٨٩٥ حتى لفظ أنفاسه الاخيرة ، وهو في منفاه الاختياري - باريس - بعيدا عن ارض الوطن .

ان اوسكار وايلد شخصية أدبية فذة ، وهو لم يكن يحق المجتمع بقدر ما كان ضحية ذلك المجتمع البورجوازي الذي وقع تحت سيطرة كوابيس وازمات رأس المال، وبالإضافة الى ذلك فهو فريسة اضطهاد هذا المجتمع ، علما انه اقرب الى المرضى منه الى الاسوياء ، وحالته اقرب الى المرض منها الى الصحة . وان شذوذه كان يحتاج الى علاج واستشفاء اكثر مما يحتاج الى ردع وعقاب ناهيك عن التعذيب والاذلال اللذين تعرض لهما داخل جدران السجن وفي زنزانه بائسة كئيبة . وقد اعترف اوسكار نفسه بذلك . اما السجن الذي كان جراه ، فهو اخر درجات الامتهان البشري والقهر والاحتقار الذي لا يستحقه اي انسان بل الشاعر او الاديب . فالسجن لا ينقي النفوس بقدر ما يهزها ، ولا يعلي الذات بقدر ما يحطمها ، ولا يطهر الروح بقدر ما يذلها . وكما يترك السجن من الانسان محطما مهزوزا ، كذلك ترك السجن اوسكار وايلد محطما مهزوزا ~~حائب الحزن~~ حتى عزف عن الكتابة والتأليف ، فمات بائسا فقيرا .

سلمان التكريتي

الفصل الاول

اصل اوسكار وايلد

لقد روي الكثير ، وسجلت الكثير من الكتب قصة حياة اجداد اوسكار وايلد ، الا ان ما يهم القارئ الذي يحب اوسكار وايلد ، هو التعرف على مؤلفاته ومسرحياته . ومع ذلك سنحاول القيام بعملية كشف امام القارئ عن الكثير عن حياته العائلية ، خاصة بالنسبة لذلك القارئ الذي ليست لديه اية فكرة عن اصله وثقافته . وان العدد الوفير من قراء مؤلفات اوسكار وايلد ، لم يعرفوا انه كان متزوجا ، وقد انجب ولدين قتل الاكبر « سيريل » في الحرب العالمية الاولى بيد قناص الماني ، وما زال الابن الاصغر على قيد الحياة حتى هذه الايام وهو « فيفيان هولاند » . وبالإضافة الى ذلك فان القراء لا يعرفون اشياء اخرى عن حياته ما خلا قضيته الخلقية الشهيرة التي انتهت به الى السجن لمدة عامين . ويمكننا ان نقول بهذه المناسبة ، انه حينما كان يقرر الاباطرة الصينيون تكريم الانسان وتعظيمه ، قانهم يذكرون اسلافه الى عدد معين من الاجيال

حسب درجات التكريم التي يريدون افاضتها عليه . لكن هذا التكريم لا ينتقل الى احفاده .

ان اسم « وايلد » من اصل هولندي ، اذ ان هناك العديد من عوائل « وايلد » في الاراضي المنخفضة حتى هذا اليوم بهذا الاسم . وان « وايلد » الايرلندي الاصل هو الكولونيل « دي وايلد » ابن « جان دي وايلد » الفنان الهولندي الذي ما زالت قاعة « هاك آرت غاليري » تحتفظ بعدد من لوحاته . وهذا الضابط الذي عرف باسم « دي فايلد » كان جنديا حالفه الحظ حين قدم خدماته للملك انكلترا « وليم الثالث » فلعب دورا بارزا في معركة « دورغيدا » في الاول من تموز عام ١٦٩٠ ، وحينما خاب وتحطم طموح الاسكتلنديين في العرش الانكليزي نهائيا . ولدوره في هذه المعركة منح الكولونيل اقطاعيات في « كونوت » . وتبعاً لذلك سقطت لفظة « دي » من اسمه . وفي هذه الاثناء تزوج امرأة ايرلندية . وبالتناسل المستمر عبر الاجيال اصبح وايلد ايرلنديا يتمتع باصالة اكثر مما يتمتع بها الايرلنديون انفسهم .

ان القصة التي تحدد اصل « الوايلديين » تؤكد انهم قد انحدروا من مقاطعة « ولسنكهام » التي تبعد بمقدار (١٢)

اثنى عشر ميلا الى الشرق من « دورهايم » ، لكنها - اي القصة ، وردت مضطربة المضمون والاسماء . فان « رالف وايلد » يفترض ان يكون قد ذهب الى ايرلندا في مطلع القرن الثامن عشر ، واشتغل « بناء » في « دبلن » . لكن هذا الامر مشكوك في صحته . فان اسم الجد بلا جدال هو « دي وايلد » . وهذا اللفظ قد ارتبك في اللهجة الشعبية الايرلندية ، بحيث كانت النتيجة ان انقلب اسم « دي وايلد » بسرعة الى « البناء » . وهناك دليل آخر لهذا الامر ، هو ان « ابن البناء » الدبلني كان يدعى ايضا « رالف » وهو الذي اصبح وكيل اللورد « ستاندفورد » ، في « كاستليريا » في مقاطعة « روسكومون » . ولكن ليس من احد من غير جيرانه يمكن ان يحتلوا هذه المكانة . والحقيقة هو ان « رالف وايلد » الذي اصبح وكيل اللورد « ستاندفورد » هو الوحيد الذي يحمل هذا الاسم ، وهو الذي انحدر من صلب الكولونييل الهولندي الذي كان يقيم في مقاطعة « كونوت » .

اما المسألة الوحيدة التي يمكن ان يعتبر ابن اوسكار وايلد « فيفيان هولاند » نفسه انه قد اكتشفها عن نظرية « ولسنكهام » فهي وجهة نظر « آر . روبرت شيرارد » الذي ادعى ان مصدر اسم وايلد هو كما روت السيدة وايلد نفسها . والذي لا شك فيه انها مقتنعة بهذه القصة - التي قد تكون قد اخترعتها - وهي تنتهز كل مناسبة لازاحة النقاب الذي اسدل على وجود الكولونييل الذي تعتبره حامي

بلدها ، كجندي في جيش الملك وليم .

وبعد فترة وجيزة تزوج « رالف وايلد » الأنسة « مارغريت أوفلين » من مقاطعة « كالوي » . و « أوفلين » هي عائلة كاثوليكية روسكوفونية . والفقة « مارغريت » كانت وريثة هذه العائلة . و « الوايلديون » كانوا يعتنقون المذهب البروتستانتي . ومع انه لا يمكن التكهن في كيفية تمكن هؤلاء من التوفيق بين اختلافاتهم المذهبية ، لكنه من المحتمل ان يكون « رالف وايلد » قد اعتنق المذهب الكاثوليكي . ولا شك انه قد لاقى الصعوبات الكثيرة حتى تمكن من الزواج من الأنسة « مارغريت أوفلين » . وهذه السيدة انجبت له ثلاثة اولاد ، فاز احدهم بوسام « بيركلي » الذهبي لتفوقه في الاغريقية في كلية « ترفتي » بمدينة « دبلن » وهو الوسام الذي فاز به « اوسكار وايلد » ايضا بعد قرن تقريبا . اما الولد الآخر فقد رحل الى جزيرة « جامايكا » ، بينما يكون الولد الثالث ، وهو المعروف باسم « توماس وايلد » هو ابو اوسكار وايلد . وهذا هو الذي يكمل الجزء الآخر من القصة في « دورهام » .

★★★

لقد تقرر ان يكون « توماس وايلد » طبيبا ، لذلك ارسل الى « دورهام » ليصبح طالب الطب ، الآن « دورهام » كانت آنئذ ذائعة الشهرة في الجزيرة البريطانية من ناحية التعليم الطبي . وفي تلك الايام كان تشريح جثث الموتى محرما من

الناحية الدينية ، لاعتقاد الناس ان كل انسان يبعث من جديد يوم القيامة . وهكذا كان مستحيلا على طلاب الطب الانكليز ان يحصلوا على جثث الموتى ليقوموا بتشريحها . لذلك فان كل طالب كان يصل مدرسة طب انكليزية وقد جلب معه جثة ميت ، لا يستقبل بحفاوة بالغة فقط ، لكنه ايضا كان يعفى من اجور التعليم المفروضة . وتوماس وايلد الذي ذهب لدراسة الطب في « دورهام » كان قد اصطحب معه جثة ميت حصل عليها بطريقة ما في ايرلندا لتكون جواز دخول الى الكلية للتخلص من دفع الاجور . والظاهر ان الناس في تلك الايام لم يكونوا حساسين ولا يقرءون من الروائع الكريهة ، فلم ينتبهوا الى رائحة الجثة التي كان يصطحبها توماس وايلد معه . وحينما تخرج توماس وايلد في كلية الطب ، عاد الى ايرلندا حيث اقام كطبيب ريفي وحيث تزوج الانسة « اميلي فين » .

في هذه الحقبة عادت العائلة الى المذهب البروتستانتي ثانية . وهذا ما عزز موقف « الوايلديين » خاصة وان والد السيدة « اميلي » السيد « جون فين » كان من الارستقراطيين الايرلنديين في مقاطعة « مالو » الذي يرتبط بالعوائل المعروفة في مقاطعة « كونوت » . وقد كان اوسكار وايلد فخورا جدا بروابطه بهذه العوائل امثال « سوررج » و « اوزيلي » التي سجلت لها مراكز ممتازة في الدبلوماسية والعسكرية . وكان « الفينيون » انفسهم على اقل تقدير

غريبي الاطوار كما قال السيد « تي جي . ولسون » فسي
كتابه عن توماس وايلد تحت عنوان « الطبيب الفكتوري » :

« ان المسافة بين العبقرية والجنون قليلة جدا . والفينيون
بدون شك لم يكونوا ذوي استقرار عقلي . ومما لا شك
فيه ان الكثير من خصال عائلة وايلد ، وربما اكثر عبقريتهم
تعود الى الصفات التي تسري في دماء الفينيين » .

وكان توماس وايلد يتمتع بشكل جذاب ، بحيث جعله
محبوبا ومحترما في الريف الذي يحيط « بكاتيلويا » حيث
كان يعمل . ويمكن ان نعود الى ولسون الذي يقول :

« كان توماس وايلد يعالج كل من في الريف من الفقراء
والاغنياء والفلاحين والقسس والاقطاعيين على حد سواء .
وكان يعالج هؤلاء طيلة حياته . وهو يقوم بذلك متنقلا من
بيت الى بيت على حصانه حتى بعد ان بلغ الثمانين من
عمره ، وقد كان يرتدي ملابس الكاملة اتقاء شرور البرد .
ولكن ما اروع ذلك المنظر الذي كان يرى فيه ذلك الرجل وهو
لا يبالي ان يتعري من ملابسه ، في قاعة وسيدة وفي ليلة
قاسية البرد قبل ان يقدم على السيدات » .

وكان لتوماس وايلد ثلاثة اولاد ، اصبح الولدان
الكبيران من رجال الدين اما الولد الثالث فهو « وليم روبرت

ويلز وايلد » الذي ولد في « كاستيلريا » عام ١٨١٥ واصبح فيما بعد السير وليم وايلد ، فهو ابو اوسكار وايلد . وعلى هذا الاساس فان « الوايلديين » هم ليسوا ايرلنديين لاکثر من ثلاثة اجيال بالنسبة لمولد اوسكار وايلد . وكما يقول الاديب الايرلندي جورج برنارد شو ، فان مناخ ايرلندا يؤثر تأثيرا فعالا وسريعا في صفات شخصية اي عنصر .

وان « روبرت شيرارد » هو اول من كتب سيرة حياة اوسكار وايلد . وكان قد كتب في اوائل عام ١٩٠٢ مذكرات اوسكار وايلد بعنوان « اوسكار وايلد : قصة صداقة بائسة » وقد نشر فيما بعد . اي عام ١٩٠٥ وعام ١٩٠٦ « حياة اوسكار وايلد » الذي يعتبر عماد كل ما كتب عن اوسكار وايلد . وكتب شيرارد ايضا قبل ذلك بسنوات قصة حياة « السير وليم وايلد » التي اعتمدها عن لسان السيدة « وايلد » لانه كان صديقها . وهكذا يمكن القول ان هذه الكتابات صحيحة ودقيقة تاريخيا . وان جميع الكتاب الذين كتبوا عن حياة اوسكار وايلد ، كانوا يعتمدون على ما كتب شيرارد . وشيرارد هو الصديق المخلص والذكي في آن واحد ، لانه هو الذي صان اسم اوسكار وايلد وحماه ، فبقيت له سمعته الجيدة . لكننا مع ذلك نلاحظ انه قد وقع في قليل من الازطاء ، منها انه يقول عن اوسكار وايلد انه ولد في « ميريدن سكوير » في مدينة « دبلن » بدلا من ان يقول في « ولست لاندر » .

لقد كان السير وليام وايلد رجلا مرموقا في زمانه .
فهو طبيب عيون وأذان متخصص ، وذو سمعة عالمية في
علم الطب . وحينما كان دون الأربعين من عمره عين
جراحا لطب العيون لدى الملكة فكتوريا ، وان كتبه في
الطب ظلت مصدرا علميا للعديد من السنوات . اما كتابه
في جراحة العيون ، فيعتبر من المصادر الحديثة جدا في
هذا الميدان . وان اكبر اعماله في حقل الطب هو تأسيسه
لمستشفى طب العيون والأذان في دبلن . وكان بالاضافة
الى ذلك محبا لعلم الآثار ، فكتب حوالي اثني عشر كتابا فيه
وفي الفولكلور الايرلندي والاساطير والتقاليد .

وفي اواخر عام ١٨٥١ ، وفيما كان وليم وايلد في
السادسة والثلاثين تزوج سيدة ذات شهرة عائلية اوسع
منه . وان اسم هذه السيدة هو « جين فرنسيسكا ايلجي » .
وهي ابنة المحامي « ويكسفورد » . وهي ايضا حفيدة رجل
الكنيسة الايرلندي « أرك دياكون جون ايلجي » ذي الشخصية
المرموقة والمحبوبة ايضا . وان اسم عائلة « ايلجي » مشتق
من اسم « الفجيير » وهو يعني « ايلف سبير » . لكن ام
اوسكار وايلد كثيرا ما كانت تصرح ان اسم جدها هو
« الجياتي » المنحدر الى ايرلندا من مدينة « فلورنسا » في
ايطاليا ، كما كانت تؤكد ان اسم « فرنسيسكا » كثرت تسميته
بين العوائل الايرلندية لتأثرهم بالكنيسة الايطالية الرومانية
الكاثوليكية . وقد كانت ام اوسكار وايلد كاتبة امرأة

فلورنسية كبيرة ، ذات شعر اسود وعينين زرقاوين . وقد خلدها الرسام « برنارد مولرن » في لوحة زيتية وهي فسي سن الثامنة والثلاثين وقد ابرز تلك الصفات . وارغلت ام اوسكار وايلد في التطرف في تأكيد ان نسبها « الجياتي » قد انحدر من « اليجيري » الذي يتصل بنسب الاديب الايطالي الشهير « دانتي اليجيري » . لكن ربما هذا مجرد تصور .

ولدت جين فرنسيسكا ايلجي عام ١٨٢٤ في عنفوان الصراع بين الشعب الايرلندي ضد الاضطهاد الانكليزي .
وحينما كانت فرنسيسكا في الثالثة والعشرين من عمرها ، عرفت بمقالاتها السياسية وقصائدها الوطنية القومية التي كانت تكتبها لجريدة « الامة » لصاحبها « تشارلس كافان داغي » . وكانت توقع مقالاتها باسم مستعار هو « جون فيرنشو اليس » ثم « اسبيرانزا » ، وهو اسم استعارته لنفسها من اسم « فيرانزا كونستنزا اسب » . فهي بطلة وطنية قومية ، اتسمت بحماسة الثورية ، كما كانت تقه . بانسجاعة الفائقة . وفي عام ١٨٤٨ ظهرت لها مقالة في جريدة « الامة » بحوالي (٦٠٠٠) كلمة موقعه باسم « اسبيرانزا » . وكانت المقالة ثورية جريئة وصريحة تدعو الشعب الايرلندي وتحرضه على الثورة . وبسبب هذه المقالة القبي القبض على « كافان دافي » واعتقل لفترة من الوقت . وخلال المحاكمة استشهد المدعي العام بمقطع من المقالة ذاتها ضد « كافان » باعتباره يثير القلق والشغب ضد

السلطة الانكليزية ، الا ان فرنسيسكا صرخت وهي في مكانها في المحكمة معلنة انها هي المجرمة باعتبارها كاتبة المقالة ، وهي التي يجب ان تكون في قفص الاتهام قائلة : انا المحرصة اذا ما كان هنالك محرض . ولم تشغل فرنسيسكا السياسة عن البيت واموره . فقد انجبت اسبيرانزا السياسية الايرلندية من زوجها السير وليم وايلد ، ثلاثة اطفال ، ولدين وبنتا واحدة . وكان الولد الثاني هو اوسكار وايلد الذي عمد تحت اسم « اوسكار فنكال اوفلاهرتي ويلز » . واسم « فنكال » انما هو اسم لبطل اسطوري في القصائد « الاوسية » . لكن اوسكار وايلد كان قد حذف بالتدريج الاسماء الثلاثة الوسطى ، مع كونه ظل يستعملها في سجلات جامعة اوكسفورد . وكان اسمه في جدول جامعة اوكسفورد حينما فاز بجائزة « نيودكيت » عام ١٨٧٨ هو اوسكار فلاهرتي وايلد . وسبب حذف اوسكار من الاسماء من اسمه هو اعتقاده ان الشخصيات المشهورة والمرموقة يجب ان تعرف باسمين فقط او اسم واحد . لذلك حينما ولد ولده البكر اطلق عليه اسما مسيحيا واحدا هو « سيريل » ، الا انه عاد واطلق على ولده الثاني اسما مؤلفا من ثلاثة اسماء . وبعد ذلك بثلاثة اعوام رزق اوسكار وايلد طفلة سماها « ايزولا » . لكن ايزولا توفيت وهي لما تبلغ العاشرة من عمرها بعد ان اصببت بمرض لم يمهلها طويلا .

واذا عدنا ثانية الى والد اوسكار وايلد ، وليم وايلد ،

وصدقنا في حياته ، نجد انه كان ذا علاقات وثيقة بكثير من
 مشاهير البريطانيين امثال رئيس الوزراء « دزرائيلي »
 والعالم « هكسلي » وصاحب نظرية التطور وأصل الانواع
 « تشارلس دارون » . وبالإضافة الى ذلك فقد كان مولعا
 بالنساء ، وكانت زوجته اسبيرانزا تعرف ذلك ، وعودت
 نفسها على هذا الامر لكي لا تفسد حياتها . ومن اهم
 العلاقات الغرامية التي خاضها ، هي العلاقة التي جمعت
 بين السير وليم وايلد والأنسة « ميري جوزفين ترافيرس » ،
 بحيث ان جميع الكتب التي تعرضت لسيرة حياة اوسكار
 وايلد والديه تحدثت عنها . وقد تميزت هذه الأنسة
 بمزاجها المتقلب ، لكنها مع ذلك وطدت علاقتها بالسير وليم
 وايلد ، وكتبت له رسائل وقصائد شعرية مغفلة من التوقيع
 طبعتها فيما بعد في كتيب صغير ارسلت عددا من النسخ
 الى زوجة السير وليم وايلد . وهذا ما دعا السيدة
 « اسبيرانزا » الى ان تبث برسالة الى الدكتور « ترافيرس »
 والد الأنسة ميري جوزفين بتاريخ ٦ مارس ١٨٦٣ تتهم
 ابنته بفساد الخلق . لكن الدكتور ترافيرس لم يبال بهذه
 الرسالة ، ولم يحاول عرضها على ابنته التي رأتها بصورة
 عرضية . وانتقاما لنفسها سجلت الأنسة ترافيرس دعوى
 ضد السيدة فرنسيسكا ، فاجريت المحاكمة في مدينة دبلن
 في شهر كانون الاول من عام ١٨٦٤ ، طالبت الأنسة
 ترافيرس بالفي باون تعويضا عما لحقها من اهانة . وهكذا
 لعبت هذه القضية دورا في الاساءة الى سمعة السير وليم

وايلد ، وهو ذو الشهرة ليس الايرلندية فحسب ، بل ذو الشهرة في عموم الجزر البريطانية . وقد توفي وليم وايلد في دبلن في شهر نيسان عام ١٨٧٦ ، وهو لما يبلغ الثانية والثنتين من العمر ، وفي الوقت الذي كان ابنه اوسكار وايلد ما يزال طالبا في جامعة اوكسفورد ، وهو في الحادية والعشرين من عمره .

لم يكن السير وليم وايلد بخيلا ، لكنه مع ذلك خلف لارمته ثروة جيدة قدرت بمبلغ (٧٠٠٠) باون و (٤٠٠٠) باون لكل من ابناؤه . وقد ادركت ام اوسكار وايلد احفادها ، وهي تعيش في بيت مظلم تقريبا في شارع « اوكلي » في « تشيلسيا » في الوقت الذي كانت فيه الشمس ساطعة خارج البيت . وقد ظلت السيدة اسبيرانزا انيقة المظهر ، فهي تلبس مثل ملكة مهيبية . وقد كان اوسكار وايلد بارا بها ، اذ انه بمجرد تحسين دخله كان يمدّها بما تحتاج اليه من المال واحيانا يكثر مما تحتاج اليه . وهذا يعني انه كان يحبها كما كان يحب ابيه ، ويجلّها ايضا . وقد كتب عن ذلك في كتابه الشهير « من الاعماق » . وفي شباط ١٨٩٦ توفيت ام اوسكار وايلد ، وكان خبر نعيها صدمة نفسية لاوسكار وايلد ، بينما كان يعاني من عذابات السجن الانفرادي . وقد اشار الى ذلك اوسكار وايلد ايضا في كتابه « من الاعماق » قائلا :

« لا يعرف احد كم كنت احبها واحترمها . ان موتها

كان امرا فظيعا بالنسبة لي . واني وان كنت امير اللغة ، الا
اني لا اجد الكلمات التي اعبر بها عن حزني والمسي
لوفاتها » .

وقد كانت زوجة اوسكار وايلد ، هي التي تكبدت العناء
الشاق ، اذ سافرت من ايطاليا ، الى انكلترا ، تنقل له
نبا وفاة والدته ، وهو في سجن « ريدنك جيل » . وقد نشرت
والدة اوسكار وايلد ثلاثة عشر كتابا من تأليفها تبحت
في الاساطير القديمة والسحر والفولكلور . وقد سجل
« هوارس وندهام » سيرة حياتها ، نشرها عام ١٩٥١ تحت
عنوان « اسبيرانزا » .

الفصل الثاني

نشأته وثقافته

ولد اوسكار وايلد في السادس عشر من تشرين الاول عام ١٨٥٤ في ٢١ ويستلاندرو في دبلن . وحينما بلغ العاشرة من عمره كان اخوه « ويلي » قد بلغ الثانية عشرة من العمر ، وقد ارسل كلاهما الى مدرسة « بورتورا » الملكية في « انيسكل » . وقد ادخلا في صف واحد بالرغم من الفرق في عمريهما . في كلية « ترنتي » في دبلن حيث امضى فيها ثلاث سنوات . وفي كلية ترنتي وقع اوسكار وايلد تحت تأثير استاذ التاريخ القديم في الكلية « ريفرند جون بينتلاند مهافي » . وقد كان « مهافي » صديقا قديما من اصدقاء السير وليم وايلد ، اذ كانت تجمعهما الاولاد الاثرية . وكان اوسكار وايلد يحسب اللغة الاغريقية ، وكل ما يتعلق بالاغريق ، حتى انه بارشاد مهافي فاز بزمالة في كلية ترنتي ثم بوسام « بيركلي » الذهبي لتفوقه في اللغة الاغريقية . وهذا لم يكن نتيجة

مجهود كبير في الكلية ، انما كان نتيجة دراسته وهو طفل ، بحيث كان بإمكانه اجتياز امتحانات اللغة الاغريقية بدون اي مجهود ، حتى ولو مجرد الاطلاع على كتب اللغة الاغريقية . وبعد وصول اوسكار وايلد الى اوكسفورد بقليل التقى باستاذ الفن فيها : « جون راسكن » ، وهو الذي صهر شخصية اوسكار وسقى البذور التي زرعها مهافي . فتجلى ذوق اوسكار وايلد الجمالي فيما ظهر في غرفته من سيطرة الوان الخزف الصيني الازرق والابيض . وكانت غرفته اكثر جاذبية من اية غرفة في الكلية . وما زالت الغرفة التي سكنها اوسكار وايلد في الكلية تعرف باسمه لحد الآن . وما زال اسمه مكتوبا على احد شبابيك الغرفة . وكان الشخص الذي وقع اوسكار وايلد تحت سحره هو « وولتر بيتر » . وان هذا الزميل المغمور والمدرس في كلية « بريزينوز » متهم في كونه كان ذا تأثير سام في اوكسفورد . وان مظهره البليد ونهجه المتزمت في الحياة يؤكد وثنية كتاباته . وكان يلتزم بالنظرية الفردية ، والاعتقاد بضرورة اعتبار ممارسة التجربة الشخصية منطلقا من كل القيود كغاية قصوى في الحياة . وبعبارة اخرى كان المبشر للدعوة الى اللذائذ الجسدية ، واعتبارها غاية في ذاتها .

تعلم اوسكار وايلد ممارسة اللذة حتى ذروتها القصوى من استاذه مهافي وراسكن ، اذ توغل الى اقاصها في دروب المذهب الجمالي . وقد اشار اكثر كتاب سيرته

الى انه كان معجبا بالجمال الانساني وخاصة جمال
الذكورة ، وقد اعتبر هذا الاعجاب انحطاطا دينيا . وهذا لا
شك حكم جائر . فالشباب في كل اشكاله هو مبعث الهام
للشاعر والفنان في رأي عدد من النقاد الجماليين . لكن
اتباع اوسكار وايلد خطوات كل من راسكن وبينتر اللذين لا
يمكن اتهامهما بالانحطاط نتيجة اعجابهم بالجمال لذاته ، جعل
عددا من زملائه الطلاب في جامعة اوكسفورد لم يدركوا
هذه النظرة المعقدة للحياة . فاوغل بعضهم بممازحته في
اسلوب مبالغ به ان كان ذلك في الشعر ام في النثر . وكان
الشعر بالنسبة لهم قضية لا مفر منها . وعلى كل حال
فان محاولة لوم اوسكار وايلد انتهت بعار اللائمين الذين
خذلوا حسب ما يورد السير فرانك هاريس معاصر اوسكار
وايلد في جامعة اوكسفورد هذه الحكاية في كتابه
« ذكرياتي » :

« ان اوسكار وايلد تحدى الاحداث بنيله
« النيو ديغيت » الذي وصفه استاذ الباليول بأنه طالب
المعي الذكاء ، ويتمتع بذوق رفيع في الفن وحب الانسانية .
وان نظريته الجمالية تظهر في تقديره للصور والخيال
والرياضة وعلم الاخلاق . واحكامه صادقة في تحديد ما
هو خير . وكان يمتاز بقوة بدنية فائقة حتى بالقياس الى
الايرلنديين . وكان يرتدي سترة رمادية غامقة ورباط عنق
اصفر ، وقد ترك شعره مسترسلا على كتفيه . وهذا ما

جعل زملاءه يمازحونه ويداعبونه كثيرا وحتى درجة
الاغاظه ، بل انهم كانوا يحاولون تحطيم اثائه الذي يعجب
به . لكن هؤلاء كثيرا ما كانوا يعودون ادراجهم وهم
يجرون اذيال الخيبة والفشل ، بل وهم يحملون اثار
الكدمات واللطومات التي كان يكيلها لهم . وكم كان يعود
الى تلك العصاية وهو يحمل رئيسهم على كتفيه كأنه يحمل
طفلا صغيرا بين ذراعيه » .

ومما لا شك فيه ان اوسكار وايلد في اوكسفورد كان
يعيش عيشة اي طالب اعتيادي ، يلعب الرياضة ويشرب
قليلا ، ويتغيب عن المحاضرات ، ويفازل حينما يجد الى
ذلك سبيلا . وقد اكتشف في احد الايام في وضعيه جنسية
مع فتاة ، وقد استلقى على ظهره ، ومن سوء حظـه ان
المكتشف كانت والمدة الفتاة ، التي وجهت اليه رسالة اتهام
حول هذا الموضوع . وهناك ادلة وفيرة بالنسبة لـاواخر
حياته في اوكسفورد تشير الى انه كان يعتزم زواجا مبكرا
من احدى قريباته .

وكان اوسكار وايلد محبوبا في كلية « ماغدالف » وذا
علاقة بالكثير من الاصدقاء . ومن بين هؤلاء الاصدقاء
يمكن ذكر « دافيد هانتربلير » و « ابوت اوف دانفير ميلايـف »
والفنان « فرانك مايلز » الذي كان يساكن ابوت في داره في
لندن . ومن اصدقائه ايضا « وليم ويلسفورد وارد » الذي

ان يحبه جدا وهو الذي نال زمالة في الآداب الكلاسيكية ،
نجح مرتين حائزا على مرتبة الاولوية ، واصبح فيما بعد
حاميا ناجحا ، و « ريجينالد رتشارد هارونك » • وقد
معت بين هذين الاخيرين وبين اوسكار وايلد مراسلات
بذل فترة الدراسة في اوكسفورد • وكان لكل من هؤلاء
قب يلقب به للدعاية ، فكان هانتر بلير يدعى « دافسكي »
ينما كان اوسكار وايلد يدعى « هوتسكي » و « ريجينالد
اردنك » يدعى « بوسي » واخته تدعى « مس يوس »
لاحترام • وكانت المراسلات بين اوسكار وايلد واصدقائه
تد كُتبت خلال ثلاث سنوات من ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ حينما
كان اوسكار يبلغ من العمر ما بين الثانية والعشرين
والرابعة والعشرين • وان هذه الرسائل توضح ان اوسكار
وايلد كان يختلف عما يعتقد الناس به حينما كان في ايام
دراسته في اوكسفورد • واوسكار وايلد كان من المولعين
بالفنون ومن الكثيرين في كتابة الشعر ، الا انه ايضا كان
يقسم وقته بين الادب والفن والعباب الرياضية البدنية • فعبر
عن ذلك في تلك الرسائل المكتوبة بحماس عن العاه الرياضية
التي كان يمارسها • اما ما كان يشغله من اولاع فهو
الصيد والرماية والتنس ولعبة المبارزة بالقضبان
والتصويب بالبندقية - وكان يحب الاستمتاع بكل لحظة من
لحظات الحياة حتى الثمالة • ويجد الجمال في كل شيء
يحيط به • وتثير احاسيسه حتى العاصفة الرعدية فيكتب
الى « وارد » من ويست اشبي قائلا :

« لقد وصلت الى هنا خلال عاصفة هوجاء ، عصفت
بالعالم كما لو كانت الملائكة تعتقد ان الارض تفور على نار
وهي تنفخ بنيرانها علينا » .

وكان اوسكار وايلد في رسائله الاولى عام ١٨٧٦
يوقع باسمه الكامل ، الا انه في رسائله المتأخرة بعد ذلك
صار يوقع باسم اوسكار وايلد او اوسكار فقط . وفي
احدى رسائله الى « وارد » وقع باسم « اوسكار ايف » او .
وايلد » وهو يقول عن ذلك ، انه يوقع باسمه الكامل
لانه مهم من الناحية الوثائقية .

وبالنسبة لعقيدة اوسكار وايلد ، فهناك قليل من الشك
في كونه قد اعتنق المذهب الكاثوليكي خلال ايام دراسته
في اوكسفورد التي لم تكن معارضة لعقيدة العائلة . وان
انحرافه الخلقي يعود الى حقيقة ان عائلته (والديه
بالبذات) كما يقول اوسكار نفسه لم تسمح له ابدا ان يعتنق
الكاثوليكية .

وفي عام ١٨٧٧ زار اوسكار وايلد بصحبة البروفسور
« ماهافي » وشابين آخرين بلاد اليونان في رحلة قاما بها
بعد الرحلة التي قام بها مع « ماهافي » نفسه الى ايطاليا
قبل عامين . وهذه الزيارة الى اليونان هي التي عززت

صداقته مع « ماهافي » وثبتت حبه واعجابه بالمثل
الجمالية الاغريقية ..

وفي عام ١٨٧٨ نال اوسكار المرتبة الاولى للمرة
الثانية في جامعة اوكسفورد بينما كانت الاولى قبل عامين
في المرحلة الاولى (مودير شبنز) والثانية في المرحلة
النهائية (كريتس) اي في عام ١٨٧٦ . اما في عام ١٨٧٨
فقد نال جائزة « نيو ديغبت » في الشعر الانكليزي بقصيدته
« رافينا » . فقال مرة عن سؤال وجهه اليه السير دافيد
هنتر بليريوم ايام كان طالبا في اوكسفورد : ان الله يعرف ،
اني لا اود ان اكون عميدا في اوكسفورد ، بل اريد ان اكون
شاعرا او كاتباً او روائياً . واريد ان اكون شهيراً . اريد
ان اكون شهيراً مهما كانت هذه الشهرة . فاريد على الاقل
ان اكون شهيراً حتى لو كان ذلك في سوء السمعة . وربما
اريد ان اكون قوادا لفترة من الزمن – وبعدئذ من يدري ؟
استريح ولا اعمل شيئا . افليس ما قاله افلاطون ، انما هو
الغاية القصوى التي يمكن للانسان ان يحصل عليها هنا
ادنائه ؟ ان يجلس ويتأمل الخير . وربما تكون تلك نهايتي
انا ايضا .

والحقيقة انه قد اصيب ببعض خيبة الامل لعدم
حصوله على زمالة بعد ست سنوات من الحياة الجامعية
في « ترنتي في مدينة دبلن اولا ، ثم في اوكسفورد بعدئذ

حيث اعتاد عليها وكان يشعر بالسعادة لانها اصبحت شعاعا
له .

وبعد ان ترك اوسكار وايلد اوكسفورد ، اعد نفسه
لمدة ست سنوات لكتابة المقالات والقصائد والقاء المحاضرات
في انكلترا وامريكا . وفي عام ١٨٨٤ تزوج من
« كونسطنس ماري لويد » التي قابلها في دبلن عام ١٨٨٣
حينما كانت في الرابعة والعشرين . وكونسطنس هي من
عائلة لم تكن قليلة الشأن . فان كلا من والدها «هوراتيولويد»
وجدها « جون لويد » كانا من الشخصيات البارزة في
الحكمة الانكليزية . وقد اصبحت كلاهما مستشارا للملكة .
وابنة هوراتيو الأنسة كونسطنس ، كانت نصف ايرلندية ،
لان والدها كان قد تزوج الأنسة اتكنسون من دبلن التي
تنسب الى عائلة هيمفيلس من ريف تيرون ، وخالها هو
تشارلس هيمفيس كان عضوا محافظا في البرلمان عن شمالي
تيرون من عام ١٨٩٢ وحتى عام ١٨٩٥ ، ثم منح لقب
« لورد » حين اعتزاله الحياة السياسية . ومع ذلك فقد كانت
عائلة كونسطنس معارضة لزواجها من اوسكار وايلد
باعتباره غير كفء لها اجتماعيا . وبعد الزواج عاشت
الزوجان حياة بورجوازية متوسطة ، وهما يستمتعان
بحياتيهما في دائرة ضيقة بحيث ان سوء سمعة اوسكار
وايلد وانفعاليته كثيرا ما كانتا تجرحان مشاعرهما ، وبصورة
خاصة ، حين كان زواجهما في فترة وصول المذهب الجمالي
الى اوجه .

كانت كونستانس امرأة جميلة جدا ، وكانت تتبادل
 اوسكار وايلد الحب والاخلاص . وحينما قال « فرانك
 هاريس » عنها ، انها لم تكن ذات صفات متميزة او جمال
 خاص ، لم يكن ذلك ، الا لانه حاول ان يغويها ، لكنه
 لم يفلح . لذلك كان دائما ينتقص من النساء اللاتي لا يتمكن
 من غوايتهن لوقاحته البغيضة مقتنعا بأنهن لا بد ان يكن
 غيبات ، وبالتالي قبيحات . وكان فرانك هذا حسب ما يقول
 فيفيان هولاند ابن اوسكار وايلد ، ان فرانك هاريس كان
 افجر شخص رأيته في حياتي . ويعتبر كتابه عن اوسكار
 وايلد سلسلة الاكاذيب لكثرة التعريض به . وهذا الكتاب
 مع كتبه الاخرى لا يستحق الا ان يلقي في وعاء القمامة .
 وبالإضافة الى ذلك فان القصص التي رويت عن حياة
 اوسكار وايلد لم تكن الا من نسج الخيال . وكونستانس
 لا يمكن ان تكون غيبية كما ادعى فرانك ومؤرخو حياة
 اوسكار وايلد ، لانها كانت تتكلم الفرنسية والاطالية
 بطلاقة . وكانت جل مطالعاتها بهاتين اللغتين . لكنها لم تكن
 حاضرة البديهة ، ولا تستعذب الفكاهة او الدعابة ، لذلك
 لم تكن امرأة ضاحكة . وكانت تشعر بالغربة في الحياة
 البوهيمية في محيط « تشلسيا » الواسع بالرغم من ان دارها
 كان ملتقى الفنانين والادباء في ذلك الوقت . وما كان يقال
 من ان اوسكار كان بنفسه يصمم ويختار لها ملابسها ،

لم يكن من قبيل الصواب ، لانها لم تكن مقتنعة بمثل هذا التسلط . وهي بالاضافة الى ذلك كانت معجبة اشد الاعجاب بالفن ما قبل الرفائيلية . وكانت ترغب في ان يتفق اعجابها واعجاب زوجها . وكانت تبدو في جميع صورها آنثى بملابس تلك الفترة وعلى الاسلوب الايرلندي الذوق ، التي كانت تقوم بتصميمها هي بنفسها . ومع اهتمامها هذا لم تكن تهمل ولديها قط ، بل كانت تفيض عليهما من حبها وحنانها ، حتى ان فيفيان هولاند ابنها ، كان يهيم بها احتراماً جزاء هذه العواطف ، مع انها واوسكار كان يظهر عليهما انهما يكتان لولدهما البكر « سيريل » اكبر الحب ، واكثر مما يكتان لفيفيان . وقد ذكر اوسكار وايلد ابنه البكر هذا (سيريل) في كتابه : من الاعماق De profundis باسمه ، لكنه لم يتطرق الى ذكر فيفيان الا حينما يتحدث عن ولديه الاثنين دون ذكر اسميهما وذلك بقوله : ولدي !

والجدير بالذكر ان نشير الى ان اوسكار وايلد انجب ولدين ، ولد الاول في حزيران عام ١٨٨٥ وسماه « سيريل » وهو اسم شاعري على غير المألوف في الاسماء الانكليزية . وبعد سبعة عشر شهرا ، اي في تشرين الثاني ١٨٨٦ ولد طفلهما الثاني الذي اطلق عليه اسم « فيفيان » وهو ايضا اسم ذو طرافة . وقد ولد هذان الطفلان في الدار التي كان يقطنها اوسكار وايلد وزوجته كونستانس في شارع « تايت » . وقد اصيب اوسكار وايلد بخيبة امل بميلاد

طفله الثاني ، ان كان يود ان يرزق بطفلة تذكره باختسه
« ايزولا » التي اخذتها المنون وهي في سن الطفولة
الغضة . وكان اوسكار ينوي ان يسميها « ايزولا وييدر » .
واوسكار وايلد مع كل ذلك كان ابا حنونا ، فكثيرا ما
كان يتفرغ للاعبة طفليه ويساهم معهما في العابهما
الصغيرة ، وحيانا يتقلب بينهما ممثلا نفسه بالاسد مرة
والذئب مرة اخرى والحصان احيانا .

ان دار اوسكار وايلد التي قضى فيها حياته الزوجية،
تقع في ١٦ شارع تايت ، الذي يمتد الى طريق المستشفى
الملكي . وهي تحتوي على غرفة مكتب اوسكار التي تقع
الى يمين الداخل الى الدار ، حيث كان يقضي فيها اعماله
امام منضدة كانت من اثاث « كارلابل » . وكان يحب فسي
غرفته اللون الاحمر والاصفر ، بينما كان لون جدران الغرفة
اصفر فاقعا والاثاث احمر . وفي احدى زوايا غرفة المكتب
استقر تمثال نصفي لهرميس البراكسينالي . وعلى الجدران
علقت عدة صور ، منها صورة سمعان سليمان المونتيسيلي
وصورة بيروسلي الرائعة للفنانة السيدة « باتريك كاميل » .
وما تبقى من جدران الغرفة فقد صفت عليها رفوف الكتب
الاغريقية واللاتينية الكلاسية ، والادب الفرنسي والكتب
الحديثة لاعمال المؤلفين المعاصرين لاوسكار وايلد . وكان
اوسكار يختلي في غرفته هذه ، ولا يحب الضوضاء ابدا ،
حتى ان الذي يمر امام باب الغرفة ، فعليه ان يمشي على

رؤوس اصابعه لئلا يحدث صوتا يعكر الصمت والسكينة اللتين يحبهما . وهو لا يسمح بدخول الغرفة لاحد ، لاي غرض ، الا باذن خاص منه ودعوة خاصة . وحتى ان لم يكن في البيت فلا يمكن لولديه ان يدخلوا الغرفة الا اذا كان بصحبتهما احد الكبار . وان حدث ان دخل احد ولديه او كلاهما ، الغرفة ، فانهما لا بد ان يلقيا عقابهما في « قدس اقداسه » .

وعلى كل حال ، فقد كان يغلب على تزيين دار اوسكار وايلد طابع وفن ما قبل الرفائيلية . وقد قام بتصميم التزيينات « اي . دبليو . كودون وسلر » وقد كان الطابع الياباني ايضا قد زحف قليلا الى الدار . أما لون كراسي الخيزران في غرفة الاستقبال ، التي كان يتصدرها بيانو كبير ، فهو اللون الاسود والابيض ، كما كانت له صورة كبيرة بطوله الكامل ، معلقة مقابل الموقد ، وهي من رسم الفنان الامريكي « هاربر بينتغروت » لكنها كانت لوحة رديئة من الناحية الفنية . كما كانت تنتشر في البيت التحف والفوانيس المغربية .

كانت كونستانس تحب طراز الستائر الفكتورية والدانتيل واغطية الكراسي من اشغال الابرّة التي تصنعها هي بنفسها ، كما كانت تقطن الكتب الخاصة ، اذ كثيرا ما كانت تطالع شعر الشعراء الانكليز ، اذا ما شعرت بالرغبة في الهدوء ، وهي مولعة بصورة خاصة بشعر

كيتس ، وقد ظل ديوانه بصحبته منذ ان كانت في التاسعة عشرة من عمرها وحتى وفاتها . ولم تنحصر مطالعتها على الشعر الانكليزي ، بل تعدته الى الشعر الايطالي ، اذ كانت تحفظ الكثير من شعر دانتي وبتراش وتاسو .

ان دار اوسكار وايلد وكنستانس كثيرا ما كانت تستقبل اشخاصا مختلفين في الاولاع والاهتمامات . فكانت تستقبل هنريك ايرفك والسير وليم رتشموند آر . اي وساره برنار ، وجون سارجنت وجون راسكن وليلي لانكري ومارك توين ، وهربرت بيربوم تري وروبرت برونك والجيرنون سونبرن وجون برايت والليدي دي كري وايلين تيري وآرثر بلفور . وكل هؤلاء من انصار الحركة الفنية ما قبل الرفائيلية . وكان من اصدقاء اوسكار وايلد وولتر هاريس الذي قضى معظم سني حياته في الاسفار الى افريقيا واقطار جنوب المحيط الهادي الذي قد اشترك مرة مع صديقه الحميم آر . بي كاننغهام غراهام في رحلة الى طنجة في المغرب العربي وسكنا دارا واحدة . وكانا يعيشان حياة كما يعيشها العرب المغاربة تماما ، حتى انهما اطلقا لميبيتهما ، حتى يتمكننا من التجول في احياء مراكش ، وتعرضهما لشمسها المحرقة اكسبت لون بشرتيهما سمرة محبة ، ولجوؤهما الى تعلم اللغة العربية ، كل ذلك سهل لهما ذلك التوغل في المجتمع العربي المغربي . وبالإضافة الى ذلك فقد قاما برحلة الى مكة وأديبا مناسك

الحج ، الا انهما كادا يتعرضان للموت المحقق فيما شوهـدا
وهما يغسلان ايديهما كالأوروبيين ، وليس على الطريقة
الاسلامية الخاصة بالوضوء للتهيؤ للصلاة ، اذ ان تلك
الطريقة في الغسل كما هو مألوف مخالفة للشعائر الدينية
الاسلامية . وقد يعتقد ان « غراهام » و « وولتر هاريس » قد
اعتنقا الدين الاسلامي مؤقتا وذلك لغرض التجوال
والاستكشاف في المناطق العربية والاسلامية ، ولا شك ان
ذلك يمكنهما من التخفي للوصول الى بعض او كثير من
المآرب .

الفصل الثالث

شخصية اوسكار وايلد

ما زال اوسكار وايلد شخصية متناقضة ، ففي القارة الاوربية ما زال يتمتع بقيمة عظيمة ، كما ان اسمه يأتي بعد شكسبير ، اعظم شخصية في الادب الانكليزي . وهناك من الانكليز من يميل الى ان هذا الاجلال الكبير مبالغ فيه ، بينما يعتقد الآخرون ، بأن اوسكار وايلد كان يجب ان ينسى في الوقت الحاضر ، ان لم يكن عارا وخزيا على الانكليز . ويقول اوسبرت بوريت في كتابه الرائع « الفترة البيروسلية » :

ان شعره لا يستأهل ولا يستحق العناية النقدية الحاضرة . . وان جميع شعره ، بل شعره المنمق ، انما هو سلسلة اصداء تعتمد على تلاعب تقني بالعبارة مثل هذا الطابع ، وانه يقاسي بسبب اصالته كمفكر . . وهو فسي هزلياته وفكاهاته فقط يحاول الوصول الى الشكل الذي يعرض خلاله نباهته المسرحية بذلك الطابع الخاص .

واشار الكاتب نفسه الذي ظهر كتابه عام ١٩٢٥ :

ان حياة فرانك هاريس الروائية من المحتمل ان تكون قد انتهت . لكنه في هذا الحكم كان قد وقع في خطأ بالتأكيد ،
لانه لحد ذلك الحين كان قد ظهر طوفان من الكتب حول
اوسكار وايلد منها حياة « هيسكيث بيرسون ، ودراسة
السير مونتغمري هايد عن المحاكمة في سلسلة المحاكمات
البريطانية المشهورة ، وطبقه المستر فيفيان هولاند بنص رسالة
اوسكار وايلد الطويلة (من الاعماق - دي برفانديس -
الكامل ، ودراسة ماركيس الكويسبيري ، وبيرسي كولسون ،
بعنوان - اوسكار وايلد ودبلاك دوغلاس » . وهذا المصدر
الاخير لا يقدر بثمن لما يلقي من اضواء على العلاقة بين
اوسكار وايلد وبين الفرد دوغلاس . لانه حتى وفاة هذا
الاخير ، لم تنشر اية معلومات شخصية عن هذه العلاقة
بين الاثنين . وبالإضافة الى ذلك ، فقد ظهر حديثا كتاب -
الطبيب الفكتوري للمستتر تي جي . ولسون الذي درس
شخصية السير وليم وايلد الغريبة وهو والد اوسكار .

ولا شك ان شخصية وليم وايلد قد اثرت شيئا ما كثيرا
او قليلا في نفسية اوسكار وتكوينه . فان وليم وايلد كان
شخصية بارزة في منتصف القرن التاسع عشر في دبلن
عاصمة ايرلندا ، وقد كان مشهورا كما عرفنا ببراعته في
طبابة العيون والأذان ، حيث عين جراحا للعيون لدى

الملكة في ايرلندا ، وقد نال هذا الشرف جزاء لمكانته العلمية العظيمة . لكنه مع هذه الشهرة كان سيء السمعة في علاقاته الغرامية . وبالإضافة الى ذلك فهو ايرلندي متميز باهتمامه بالعاديات الاثرية ايضا . وان زوجته (جين) كانت معروفة بسمعتها الادبية والسياسية ، اذ كانت شاعرة ايرلندية قومية ، تكتب تحت اسم مستعار هو (اسبيرانزا) ، وهي مشهورة ايضا بقدرتها العبقرية في رئاسة صالونها الادبي الذي كانت تستقبل فيه مشاهير رجال الفكر والادب والفن .

تميز اوسكار وايلد حينما كان يتعلم في مدرسة يورتورا الملكية في مقاطعة اينيسل ، وفي كلية ترنتي في دبلن عام ١٨٧٣ بكونه تلميذا لامعا في الثقافة المدرسية ، فحصل عام ١٨٧٤ على زمالة في كلية ماغدالين في جامعة اوكسفورد التي درس فيها حتى عام ١٧٧٩ . ولم يكن مهملًا في مظهره ، بل بالعكس كان محبا للظهور بين اقرانه بالإضافة الى تميزه ونيله المرتبة الاولى في الادب المدرسي للعصر الوسيط وفي الادب الانساني . وقد كان يقرأ ، بينهم ، افلاطون وارسطو خلال دراسته لنيل الدرجة الجامعية . لكن توجد شواهد كافية تثبت انه كان مطالعا على كتابات سبينوزا وغوته وهيجل ورينان وماتيو ارنولد وامرسون وبودلير . وهكذا كان وهو في هذا العمر الفتى رجلا واسع الثقافة الى درجة منقطعة النظير . وجامعة اوكسفورد ذاتها كانت في صراع فكري حاد . فالفلسفة السائدة آنئذ هي الهيكلية الجديدة التي-

يتزعمها دت ٠ هـ (غرين) والنظريات الجديدة في التطور التي قدمها كل من تشارلس دارون وجوليان هكسلي ، وهي التي شرعت تشغل العقول الفتية آنئذ ٠ وبالإضافة الى ذلك ، فان طلاب الجامعات المثقفين كانوا مولعين بموسيقى قصائد واناشيد (سونبرن) الساحرة ٠ وان انبثاق التائق الذاتي من ناحية ، من الرفائيلية الجديدة ، وهيام ويسلر بالخزف الصيني الازرق الذي ارهف ذوق الشباب ، وحيث كانت غرفة اوسكار وايلد في كلية ماغدالين حافلة بالخزف الصيني الازرق لتدل على ذلك ، بينما كان الرجعيون يحرمون حتى مجرد ذكر كلمة الفن ٠

وكان لراسكن التأثير البالغ على طلاب الجامعات المثقفين والمرهقي الحس ٠ وكان هذا التأثير قد وفق اليه بمحاضراته في جامعة اوكسفورد بين عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٨ ثم مرة ثانية بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٨٤ ٠ وفي الفترة الاولى ارتبط اوسكار وايلد بالمسرح الشيلدونني والمسرح الشيلدونني هو البناءة الوحيدة في اوكسفورد والتي تسع جمعا غفيرا من المتفرجين ٠ وفي هذه الفترة اصبح اوسكار وايلد قادرا على تشكيل فرقة من الشباب الذين كانوا يعتقدون مذهب جون راسكن الاجتماعي ، وشرعوا يمهدون الطريق لهذه الفكرة ٠ وهذا دليل كاف لاثبات قدرة اوسكار في الزعامة لانه لم يكن معروفا آنئذ بقدرته الجسدية في اي ميدان من ميادين هذه القوة الجسدية ٠

ان ولع راسكن بالجمال لم يكن حكرا عليه ، انما كان يساهم معه فيه شيوخ اوكسفورد بينهم الاستاذ في « برائينيوس » (وولتر بيتر) الذي كان ذا تأثير عميق في عبقرية اوسكار وايلد المبدعة . ولكن مع ان تأثير وولتر بيتر كان يساهم مع جون راسكن في عشق الجمال ، الا انه لم يكن متمعنا بنصيب من الحس الاجتماعي المزهف الذي كان يرى فيه مجرد بعث للنظرة الحياتية الخلقية واللاهوتية ، التي كان يمثل لها جون راسكن منذ ايام صباه ، حينما كان منتميا الى الكنيسة الانكليكانية . وقد يبدو غريبا ان نعلم وبكل دقة ، ان جون راسكن وولتر بيتر لم يتقابلا ، وان ما كان يتصف به فعلا ، فهو اختياره ان يبقى منعزلا . وفي البرج العاجي في كلية كان قد عاش زملاءه وتلاميذه ووطد عزمه على تثقيفهم بالحس الجمالي الى درجة مرض العصاب .

ان دراسات راسكن في تاريخ النهضة ، قد ظهرت في عام ١٨٧٣ ، وقد بين في اشهر قسم من تأليفه ، هذا القسم الذي نشره في طبعة عام ١٨٧٧ ، ان عددا من العواطف يعطينا حياة روائية مذهشة . فكيف نرى ما يمكن رؤيته فيها بادق الحواس ؟ وكيف نمر بسرعة فائقة من نقطة الى نقطة ونكون حضورا في مركز حيث يكون عدد كبير من القوى الحية ، وهي تتحد في اصفى الطاقات ؟ لنحترق بهذه الجوهرة الصلبة الملتهبة لادامة النشوة ، انما هو النجاح في الحياة .

وما نريد عمله ، انما هو فحص الافكار الجديدة السطحية
ودغدغة الخلجات المرفهة . ولكن لدينا فرصة ، ومكانتنا
لا تزودنا بمعرفة اكبر . فالبعض يقضي هذه الفترة في
لامبالاة ، والبعض في غرام عنيف . اما العقلاء جدا ،
فيقضونها في الفن والغناء . لان الفن يأتي اليك معلنا
بصراحة ، ولا يعطي سوى ميزة عظمى ، بعد ان تمر تلك
الاوليات ببساطة من أجل تلك اللحظات .

لا بد من الاعتراف هنا ان اوسكار وايلد لم يتمكن
من التخلص من مذهب الفن للفن في انقى صورهِ مطلقا ،
بتأثير راسكن في كتابه « روح الانسان في ظل الاشتراكية »
اذ هو دليل مثير لهذا المذهب ، وهي تعاليم « بيتر » التي
وجدناها متسقة مع غرائزه الشخصية التي جعلها قاعدة
لحياته .

كان اوسكار وايلد اشهر تلميذ جامعي ، مع كونه سيء
السمعة بالنسبة لعصره ، وحيث يكون « وولتر بيتر » غير
مدرك لوجوده او لم يبالي به . وهو لم يبذل اي جهد ليحصل
ما قد زرع . وقد يقال انه كان يكرهه ، لانه هو لا يكن
حبا للجماهير ، وربما يخاف من ان يكون قرينا لتلميذه
الصغير ذي المجد المرموق . فان اوسكار وايلد كان مشهورا
حتى قبل ان يغادر اوكسفورد ، وليس في اوكسفورد ذاتها
فقط . وان مروجي المذهب الجمالي الجديد والرموز التي
تمثلت بريش الطاووس وزهور عباد الشمس والتزيينات

المعمارية والخزف الصيني الازرق والشعر المسترسل الطويل
والسراويل المخملية ، شرعوا في التسلل الى لندن .

وفي هذا الوقت بالذات تخلت مجلة (بانتش) وبصورة
كلية عن الاتجاهات الخلية المتطرفة ، والابتذال الهزيل الذي
كان يغلب على اعدادها الاولى ، واصبحت لسان حال فكر
الطبقة الوسطى ، وقد تسلمت قيادة حملة السخرية ضد
الجمالين . ففي ١٤ شباط ١٨٨٠ نشرت صورة هزلية
بعنوان (المغفلون ، انه الاعجاب الاجتماعي المتبادل) . وان
شخصية (جيلابي بوستليثويت) الشاعر الكبير لا يتمتع بأية
صفة جسدية من صفات اوسكار ، لكنه اخذ ينمو بسرعة
مثله ، اثناء ما كانت الحملات مستمرة . وفي تموز ١٨٨٠
ظهرت صورة هزلية شهيرة للجمالي ، وهو يفكر بزهرة
الزنبق بدلا من ان يفكر بالغذاء . وفي تشرين الاول ظهرت
صورة ساخرة لاوسكار وايلد تشير الى كونه يحاول ان يحيا
وفقا لخزفه الصيني الازرق . وفي شباط التالي نشر
« دومورييه » وقد كان رأس رمح الهجوم ، صورة هزلية لأول
مرة في « الموندل » التي اعتبرت صورة مضحكة واضحة
لاوسكار وايلد ، الذي ظهر قائلا :

« ما ابرع ابنك المحبوب ايتها السيدة براون . لم لا
تدعيه يظل مطمئن البال ابدا ، ليحيا بجمال ؟ »

ان التضمين الخبيث قد اخفي بصورة جيدة ، لكن

المسألة كلها ظلت على حد سواء .

ان تعليقات ورسوم دومورييه الهزلية ، ربما يكون قد كتبها اف . سي . برناند الذي لم يقتنع بهجماتيه في مجلة (بانتش) ، وكان قد نشر في الثاني من شباط ١٨٨١ : (الملهة الجمالية) بعنوان « الكولونيل » عن البطل بازيل جيورجيون ، فارس الزنبق . لكن هذه الملهة افل نجمها بسرعة بعد ان عرضت مسرحية « الصبر » الهزلية التي القها جلبرت وسوليفان في دار الاوبرا كوميك في لندن في ٢٣ نيسان ١٨٨١ . واستمر عرض هذه المسرحية مع ابانتون ، البطل الجمالي حيث اصبح الشخصية المحبوبة لرواد المسرح .

ان المؤلف WS. Gilbert ظهر ضائعا بصورة غريبة جدا ، اذ انه قد خلط بعض الشيء ما بين شخصيتي اوسكار وايلد ووسلر ، فقد اخذ هذا البطل جزءا من كل من الشخصيتين . وحاولت مجلة (بانتش) ان تضع موضوعا على هيئة حوار مقتعل بين الاثنين . وهذا هو سبب تبادل البرقيات الشهيرة . فأبرق اوسكار وايلد قائلا : لقد كانت مجلة بانتش سخيفة ، اذ حينما كنا معا لم نتحدث بشيء الا عن نفسيينا .

الظاهر ان هناك مبررا لنزق وسلر ، لانه قد عاد الى لندن في خريف عام ١٨٨٠ بعد غريته التي دامت مدة سنتين

في فينيسيا (البندقية) ليجد اوسكار وايلد اماما لهذا المذهب الجديد . لكنه حينما ذهب الى البندقية ، انما كان ذلك بسبب افلاسه . وكان افلاسه نتيجة التشهير الذي اعلنه ضد راسكن ، الذي ادى الى تحطيمه . وجون راسكن هو الذي دعا « كريمرن » الصاروخ الساقط » وعاء الالوان المقدوف في وجه الجمهور . ولسنوات عديدة كان وسلر يرسم توافقيات وتنظيمات ، وهو يتذمر من الفكرة القائلة ان الفن يجب ان يكون صورة لحكاية منقحة . ولعدة سنوات ظل البطل المعروف لمذهب الفن للفن وهو يجمع لعدة سننوات الخزف الصيني الازرق ويزين غرفه بالماروح اليابانية وريش الطواويس . اما الان فان هذا الشاب قد انحدر من اوكسفورد وهو يتباهى كزعيم لحركة جديدة . وبدلا من الترحيب بحليف شعر وسلر ، فان وسلر بدأ يشم رائحة وجود منافس له ، وهذا ما يوضح - ولو بصورة غير محققة - فظاظة تلك المراسلات ، وان المعرفة الشخصية (حيث يصعب على البعض تسميتها صداقة) قد انتهت برسالة (الى العالم) نشرها وسلر مرة ثانية في كتابه « فن كيف تكسب الاعداء » اذ يقول فيها عن اوسكار وايلد :

« ماذا كانت مساهمة اوسكار في الفن ؟ ما عدا غدائه على مائدتنا واكله الخوخ والبرنك من صحنوننا ، وسوى التجول في المقاطعات . واوسكار وايلد الانيس اللامبالي ، واوسكار النهم - لم يكن اكثر من شاب وسيم

وسامة صورة معلقة على حائط ، وهو يتمتع بشجاعة رائعة
في ابداء رايه في الاخرين » .

وهذا بمجمل العبارة هو اتهام « وسلري » بالانتحال ،
سواء كان هذا الاتهام ثابتا ام لم يكن ، بالنسبة لاوسكار
وايلد الذي لازمه منذ ذلك الوقت . لكنه اتهام غير عادل .
لان محاضرة وسلر (الساعة العاشرة) التي لخص بها
افكاره انما كانت دفاعا مجيدا عن عمله كرسام ، وليس اكثر
من ذلك . اما كمذهب جمالي ، فقد كانت تافهة جدا . لكن
اوسكار وايلد حاول حقيقة ان يوجد فلسفة جمالية ذات تطبيق
شمولي .

ان الفرصة التي سنحت لتفسير فلسفته ، انبثقت بطريقة
غريبة . فآراد المناصرون لاوبرا (الصبر) ان ينقلوها الى
اميركا ايضا ، لكنهم ظنوا انه من الصعب على الشعب
الاميركي ان يدرك فحواها . وليست هنا اية اشارة للتقليل
من قيمة الجماليين في عالم ما زال الجماليون فيه مجهولون .
ومع ذلك قررت دعوة اوسكار وايلد ليحاضر في اميركا .
فهل كان اوسكار وايلد يعني ذلك ؟ ربما يكون ذلك ؟ وعلى كل
حال ، فقد قبل اوسكار وايلد الدعوة بسرور بالغ واهجر الى
الولايات المتحدة الاميركية على ظهر السفينة « اريزونا »
بخطوط (كونارد) . فوصل الى نيويورك في الثاني من
كانون الثاني ١٨٨٢ ، وللطرافة والغرور الذي يتمتع به

اوسكار وايلد ، حينما سألته السلطات الكمبركية المسؤولة
حين وصوله عما اذا كان لديه اي شيء يود التصريح به ،
فأجابهم : لا شيء سوى عبقريتي !!

كانت أوبرا « الصبر » تعرض على مسرح ستاندارد
منذ ايلول عام ١٨٨١ وحتى وصول اوسكار وايلد في السنة
التالية اما مسرحية (الكولونيل) لبرنارد فقد نقلت الى
اميركا بعد وصوله مباشرة . ولم يصل اميركا احد اللقاء
سلسلة محاضرات ويلقي مثل ذلك الحماس الشعبي ، لكنه
كان حماسا عدائيا . ولم يكرمه الا (باك) مثلما كسرم
« فيتزنودل » في اميركا حتى تعاقبت معه جميع المطابع
الاميركية . وحين القاء اوسكار وايلد محاضراته الاولى في
نيويورك ظهر في زي « الجمالين » - بالسرراويل القصيرة -
بينما كان الصحفيون قد اصابتهم نشوة من السرور . وجريدة
- ناسن - (الشمس) وحدها هي التي احتجت .

« لماذا يرفض الزائر ببساطة من اجل زي اللباس الذي
يرتديه ؟ ليس هناك قانون اجتماعي او غيره يجبر المرء لان
يلبس مثل اي انسان يمكنك ان تقابله . »

وبمناسبة وجود اوسكار وايلد في « روتشستر » ان .
واي « نظم لخط وشغب تمكنت الشرطة من قمعه والقضاء
عليه ، اذ شرع الطلاب في (هارفارد) بالصخب الذي كان
بامكان اوسكار وايلد نفسه ان يمنعه بقوة شخصيته وسحره .

والقى اوسكار بعدئذ محاضرات في خمسين او ستين مدينة في الجزء الغربي ، فان لم يكن قد اقنع مستمعيه اللادعين بتبني افكاره ، فانه على الاقل كسب احترامهم . انه دعي الى اميركا الشمالية كشخصية مضحكة ، الا انه عاد منها وقد عزز سمعته .

ان محاضراته حول (النهضة الانكليزية) ما زالت حتى هذا الوقت لم تنل ما تستحقه من الاهتمام . فقالت جريدة (ذا سن) :

« انها لم تكن انجازا مسرحيا نافعا لكي تهين ذكاء المستمعين ، لكنها لم تكن سوى مقالة معدة بعناية برهنت على ان كاتبها كان شخصية مهذبة ومثوقة وذو خيال خصيب ومثقف ودمث الاخلاق » .

وهذا ما اضطر شخصية اميركية في مقام جليل هو « ريفريد هنري وارد بيتشر » لان يستضيفه ويحتفي به عام ١٨٨٢ .

ولم يحقق اوسكار وايلد في عودته الى انكلترا ما كان يتوقعه ، ان لم نقل ان سمعته قد هبطت . فاشعاره (١٨٨٠) قد استقبلها الجمهور على العموم بالاستحسان ، لكن سمعته السيئة بلغت درجة اكثر من اي وقت اخر . ولان الشعر لا

يدر دخلا منتظما ، ولا احد يمكنه ان يعيش بالاعتماد على سمعته السيئة ، لذلك تعرض اوسكار وايلد الى هزة عنيفة . فأشار اوسبريت بورديت في هذا الصدد قائلا :

« بدأت سمعته - اي اوسكار وايلد - تتقدم بصورة معكوسة بالقياس الى انجازاته في العصر الذي صار فيه الذكاء والاناقة غير معادلين للبلاغة اللفظية في الادب في ذلك العصر . وكان الملفت للنظر والباعث للسخرية ان اوسكار وايلد المشهور ، لم يجد جزاء اعماله الادبية سوى دعوات الغداء المتواترة . وان قدرته في رواية القصة والغداء في الخارج قد انتهت مع « كريفي » الذي كان يحيا على موائد الآخرين ، لانه كان يحصل على مورد قليل . وقد حاول « اوجست جون هير » الاستمرار على المنوال نفسه ايضا ، لكن القدر بالنسبة له كان اكثر كرما في توفير وسائل عيشه ، فيما بين صباح يوم الثلاثاء ومساء الجمعة ، اكثر مما تعني بالنسبة لاوسكار وايلد » .

حاول اوسكار وايلد حينئذ ان يكسب قوته من الصحافة ، فعمل محررا في مجلة « عالم المرأة » حيث ساهم مع - مالارميه - في اهتماماته التي كانت محورا لاهتمام كل الناس ، وهو رجل الادب الكبير الامكانية ، الذي يوافق على كتابة - ملاحظات حول الانباء . فكتب استعراضات - بدون توقيع - للعديد من الصحف ايضا . وفي هذه الاثناء ، اي

عام ١٨٨٤ تزوج اوسكار من « كونستانس لويد » ابنة هوراس لويد ، كيو.سي. فساهمت زوجته معه في التحمس للفكرة الجمالية الى درجة الظهور على مسرح الحياة في اجتماعات عامة لحث النسوة على اصلاح ملابسهن . وهي التي ارادت ابدال ملابس الدانتيل الضيقة المعاصرة المطرزة بالاثواب الضافية مما قبل المرحلة الرفائيلية ، مثل زوجها الذي كان يفرق في الازياء الرجالية المضحكة المثيرة .

انها هي تلك الجهود التي وضعت اسم اوسكار وايلد امام الجمهور مع انه قد كتب القليل الذي يثير الانتباه ما بين سنة ١٨٨٢ (سنة عودته من الولايات المتحدة الاميركية) وعام ١٨٨٨ . وعلى كل حال ، فان هذه هي بداية المرحلة الثانية من حياته الادبية ، لانه بعدئذ اصبح على اتصال اثناء زيارته المتكررة لباريس برجال الادب الفرنسيين .

وهو بالطبع كان يعلم بوجود المذهب الرمزي الفرنسي . وفي ذلك الوقت كان قد وصل تأثير بودلير الى انكلترا عن طريق « سوفيرن » من قبل . لكن تقديس بودلير باعتباره اماما لمذهب جديد ، كان قد انتهى حتى في فرنسا في اوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر . وفي وقت مبكر جدا ، وحينما كان اوسكار يتردد على باريس ظهر الكتاب الذي احقني به كانه صلوات المذهب الرمزي اليومية ، لاوسكار وايلد . فان « الى طريق الخطيئة » لهيوسمان قد طبع عام ١٨٨٤ الذي كان مثالا جذابا لاوسكار وايلد . وان الشخصية

الغريبة لبطل (ديزيسانت) قد صيغت اعتمادا على الشخصية الحية التي خلقها الكونت روبرت دي مونتيسكيو ، وهي التي كانت بالنسبة للشباب الانكليز تجسيدا لافكاره . وان اسلوب هيوسمان المحبوك الرائع وبشكله البدائي وكثرة التشبيهات التي فيه وخصبه وانتقائية المفردات والمفعم بالصور والاخيلة انما يخلق واحدا من القديسين في المذهب الجمالي الذي يتخلى عن المذات ، ويعزف عن ملاهي الحياة الاجتماعية ليحترق مثل « وولتر بيتر » في لهيب الحس الجمالي . ولكونه فرنسيا ، فقد تطرف في ابحاثه اكثر من اي انكليزي يمكنه ان يتجرا للقيام بذلك في مثل هذه الفترة .

اننا نجد في دراسات - ماريو براز - الموسوعية التي سماها « الصراع الرومانسي » ان جميع الاعمال النثرية التي كتبت عن المذهب الرمزي بدءا من لورين دي كورمون وعبر اوسكار وايلد حتى دانايزيو ، كان يحملها جنين كتاب « الى طريق الخطيئة » ويتذكر قراء هذا الكتاب ، ان « ديزيسانت » او - هيوسمان - يترك الانطباع نفسه عن رسوم غوستاف مورو . وهكذا ادعى هيوسمان انه اكتشف - مورو - عن طريق لوحاته النفيسة التي كشفت بدورها افكاره الغريبة خلال المشاهد الفخمة والسادية ، وان معظم لوحاته لا شك كانت مستقاة من « غوايات القديس انطوان » لفلوبيير وقصته الشجية « هيروديا » . وان ما يؤكد تأثيرها هذا ، هو لان فلوبيير ايضا كان احد الاسباء الروحيين للمذهب

الرمزي • ولكن بالنسبة للاخيلة التي تسلطت على احلام
مورو ، وراقت له بالنسبة « لديزيسانت » ، انما هي قصة
« سالومي » اذ ساهم اوسكار وايلد بهذه النظرة التي
اصبحت واضحة للعالم بعد ذلك بسنوات قلائل • ولم تكن
نحن نعرف عن اتصالات اوسكار وايلد بالكتاب الفرنسيين
في هذه الفترة بالقدر الذي نروجه • وان جاذبيته ودماشة
خلقه ولغته الفرنسية الجيدة ، وشهرته كأحد الرمزيين جعلته
يجد العديد من الابواب مشرعة المصاريع امامه • وبالضرورة
لم يجد اوسكار وايلد في باريس الابواب مشرعة امامه ،
وكان يكتفي بالجلوس امام المنضدة في احد مقاهي الحي
اللاتيني ، وهو يرتشف شراب (الافسنتين) ، ويتحدث
ويتحدث حتى الساعات الاولى من الصباح • وبالتأكيد يكون
اوسكار وايلد قد تعرف بمارسيل شوب الذي صدرت طبعة
قصته الخرافية (المدن الزرق) باهداء الى اوسكار وايلد
وقد ظهرت في جريدة « صدى باريس » في كانون الاول من
عام ١٨٩١ • وقد قام اوسكار وايلد بترجمتها الى اللغة
الانكليزية بعنوان « المارد الاناني » في الجريدة نفسها •
وكان اوسكار وايلد يعلم تماما بوجود شخص مثل ستانيسلاس
كويته - مثيلا لروبير دي مونتييسكيو ، مع اضافة لمسات
شعونة - الذي طبعت له في ذلك الوقت (عروس الشعر
السوداء) وقوبلت بحفاوة « تعاطي الافيون والحشيشة
والافسنتين » الذي كان يثير عند متعاطيه نشوة السكر
الاثمة ، وكشف اسرار المعرفة النهائية • ونشر ستانيسلاس
دي كويته كتابا اخر عنوانه الاشباح ، وقد صدره ايضا

بعبارة اهداء الى (مورييس رويان) وهو يدور حول الحيوانات مصاصة الدماء . وقد كانت اشعار رويان تقرا علنا في ملهى « القطة السوداء » . ويظهر انه من المستحيل ان لا يتواجد اوسكار وايلد في احدى تلك المناسبات ولكنه مع ذلك عاد الى لندن ، وهو يشعر انه لم يكن الصوت الوحيد الذي يصرخ في فراغ اجوف ، انما هو جزء من التيار المعاصر للادب الاوربي .

ويقول فيفيان هولاند ابن اوسكار وايلد عن ابيه :

« لقد كتب الكثير من الكتب ، وفي العديد من اللغات عن اوسكار وايلد ، اكثر من اية شخصية ادبية عاشت خلال المائة عام الماضية ، ولكن حينما يرجع الناس الى الماضي ابعد فأبعد فانهم مضطرون لافتراض فصل صورة الشخص عن انسانيته . وحينما يكتب عنهم الناس الآخرون ، فانهم يقطعونهم اربا اربا ليجعلوهم متناسبين مع النموذج الذي يصورونه حتى لا يبقى منه دم او لحم . والكثيرون من الذين كتبوا عن اوسكار وايلد ، اعتبروه كالخنفساء تحت المجهر ، فهم يفحصونه ويدققون فيه ويحللونه باعتباره قضية نفسية - وليس كأنا بشريا على الاطلاق . واذا ذكروا اية صفة من الصفات الانسانية فهي ليست الا جملة اعتراضية ، وكما لاحظت تدعو الى العجب والاستغراب . ومع ذلك فان اكبر ظاهرة بارزة في شخصية اوسكار وايلد ، انما هي انسانيته العظيمة المتمثلة في حبه للحياة وحبه لاصدقائه وتعاطفه مع المعذاب

والالام . وقد كان اكثر الناس حبا وحنانا ورقة ، كما كان يكره ان يرى انسانا يتغذّب . ولم يذكر اي من مؤرخي سيرة حياته ، حتى فرانك هاريس اقتراض انه قام او ساعد على عمل رديء . وهناك قصص كثيرة رويت عن مساعداته للناس الحزانى حتى يوم كان يعاني من الفاقة والعوز . ففي مرة من المرات اكتشف اوسكار وايلد في سجن ريدنك جيل ، ان ثلاثة اولاد قد حكم عليهم بجريمة سرقة الارانب ، وكانت الغرامة مما لا يقدر عليه هؤلاء الاولاد ولا اباؤهم ، فحكم عليهم بسبب ذلك ، فأرسلوا الى السجن بسبب عدم دفع الغرامة . وهذا لا يصدق في الوقت الحاضر طبعا ، ولكن قبل ما يقرب من المائة عام يمكن ان يحدث ذلك صراحة . فحزن اوسكار حزنا عميقا لهؤلاء الاولاد الذين كانوا بعمر ولديه الصغيرين ، وفي الوقت الذي كان يجب ان يمرحوا مرح الطفولة البريئة ، لا ان يعاملوا معاملة وحشية . فدبّر اوسكار لقاء مع احد حرس السجن الذي كانت تربطه به علاقة ودية ، وطلب منه ان يتحرى في ما يجب عليه ان يفعله لمساعدة هؤلاء الاولاد الصغار ودفع الغرامة عنهم . ورجاه ان يفعل ذلك من اجله . عليه ان يبعد هؤلاء عن السجن . وكان يرجو ان يتمكن من دفع الغرامة عنهم ، ليساعدهم في الخروج من السجن ، ثم طلب من الحارس ان يخبر الاولاد بانه ان امكن دفع الغرامة عنهم ، فانه سيطلق سراحهم غدا ، على ان لا يخبرهم باسمه ، وطلب ان يمرحوا ولا يخبروا اي انسان . وهكذا اطلق سراحهم .

الفصل الرابع

اعماله الادبية

كان على اوسكار وايلد ان يحافظ على اللقب الذي كان جديرا بحمله اذ انه في عام ١٨٨٨ اصدر مجموعته القصصية الاولى تحت عنوان « الامير السعيد وقصص اخرى » . وبعد ذلك بثلاث سنوات اصدر مجموعته الثانية « جريمة اللورد آرثر سافيل وقصص اخرى » . ولا بد من الاستنتاج ان « الغثيان » تذكرنا بعمل فلوبيير وغوتيير وادغار الان بو وهانس كريستيان اندرسون ، ولكن هؤلاء لهم خصائصهم الذاتية ونكهتهم الادبية . والافكار التي عبرت عنها « الغثيان » كانت تشاؤمية : فالامير السعيد تخلى عن جميع ممتلكاته دون مبرر ، فهو لم يجد اي عرفان بالجميل ، ولم يفهم احد منه سبب تقديمه تلك الثمرات ، اذ ان العنديل يسدد صدره نحو عوسجة ، فيغرزها في قلبه ، لانه يريد ان تزهر له وردة حمراء يهديها الطالب الى حبيبته بعد ان تصطبغ بحمرة دم العنديل ، وحينما اهدى الطالب الوردة الى حبيبته ، لم تبال بها ، بل القتها على الارض فسحقها عجلات عربية مرت

عليها . ولكن بعد قراءة قصص اوسكار وايلد لا يخرج المرء
بنتيجة ، الا انها مأساة . وان طبيعته وحب العميق للدعابة
وجمال موهبته المطلق اعادت قسوة عذاب الفكر . وقصص
اوسكار وايلد القصيرة ما زالت تقرأ بشغف كبير . وحينما
طبعت لأول مرة طبعة انيقة وغالية ، عجلت في ارتفاع
شهرة .

ان نجاح قصص اوسكار شجعه ليحاول طموحات
اكبر . ففي عام ١٨٩١ ظهرت اول وآخر رواية له ، هي
- صورة دوريان غراي . فلم يتباطأ النقاد في الاشارة الى
ان موضوعها قد عولج من قبل في قصة « ملموث المتجول »
لماتيورن وفي قصة (بلا احزان) لبلزاك و (صورة اوفال)
لادغار الان بو ، بل حتى في قصة (دكتور هيكل والمستتر
هايد) لستيفنسون . ومع ذلك فان اوسكار اعطى هذه القصة
العتيقة انعطافا جديدا ، كما ان معالجته الاصيل لها انقذتها
من تهمة الانتحال او السرقة .

ان هذه الرواية تدور حول اللورد هنري دوتون المفكر
المتقف والفنان الذواق الذي رأى في مرسوم صديقه « بازيل
هالود » اللوحة التي كانت على وشك الانتهاء ، وهي تمثل
شابا وسيما وانيقا . وهكذا ابدى رغبته في مقابلته . فوجده
لا يقل جمالا في حقيقته عن الصورة . لكن (اللورد هنري)
انهى صداقته له وقرر ان يجعله اداة لنظرياته في الجمال ،

وليس في الاخلاق - وحتى في لا اخلاقيته - في الجوهر .
وباختصار فان رفته غير المحدودة فرضت على الشاب اعتناق
مذهب « ولتر بيتر » في حياته الخاصة : « حيث ظل متلهفا
لخلق افكار وانطباعات جديدة » . وان « دوريان غراي » هو
اسم الشخص الشاب الوسيم الذي سقط تماما تحت تأثير
سحر الرجل الهرم . وكان يرى نفسه بمنظار الآخرين ، وهو
مغرم بجماله ، فحققت رغبته في بقاء روائه الجسمي ، فلا
يمسه الزمن بشيء ولا يسفبه الاثم . والصورة وحدها هي
التي تتغير . وهذا ما اغرى الممثلة الشابة التي وقعت في
غرامه بالانتحار ، فظهرت اول مسحة من القسوة على فمه
الوردي في اللوحة . وحينما كان يحاول نسيانها بخوضه
تجربة حسية جديدة ، بدأ الوجه في اللوحة يتقشف . انه لم
يعد يتجراً على اطلاق احد على اللوحة . وحينما رآها « بازيل
هالود » قتله دوريان في لحظة من لحظات الرعب الهستيرية ،
فعكست اللوحة هذه الجريمة التي اقترفها . وفي النهاية
حاول تمزيق اللوحة ، واثناء محاولته طعن اللوحة ، طعن
صدره ، فندت عنه صرخة مدوية ، جعلت الخدم يهرعون من
غرفهم نحو غرفة دوريان ، وقد انتابهم الفزع ، وحينما دخلوا
الغرفة وجدوا صورة مخدومهم الرائعة المعلقة على
الجدار كما رأوها اول مرة ، اذ تميزت صورة لدوريان غراي
بشبابه وجماله العارم . وعلى الارض رقد رجل فاقت روحه
وهو في ملابسه الليلية ، وقد غرزت سكين في صدره ، ووجهه
ذاو متغضن ، يشمئز منه النظر . ولم يتمكنوا من التعرف

عليه الا بعد ان تفحصوا الخواتم في اصابعه .

اذا اعتبرنا هذه الرواية مجرد « حكاية خرافية اخلاقية »
فالكاتب يبدو عندئذ كانه هجوم على مذهب اوسكار وايلسد
الجمالي . وهذا يثبت - اذا دعت الحاجة الى اثبات - ان
« الفن للفن » يقودنا بقوة الى مذهب « اللذة للذة » ، ولكي
يستمر تذوق التوابل فلا بد من تذوق توابل اشد لذوة . والذي
يقنعن باللذة فانه لا بد ان ينتهي به المطاف بالعثور على
(السعادة في الجريمة) . وفي رد اوسكار على النقاد ،
اعترف بذلك . وقال « نعم » في رسالة الى جريدة
« الغازيت » للسنت جيمس .

ويقدر النقاد ان هناك قضية اخلاقية مريضة في قصة
دوريان غراي حيث لا يمكن اكتشاف الشهوانية الشبقية التي
فيها ، لكنها يمكن ان تنكشف لذوي العقول المتفتحة . فهل
هذا خطأ فني ؟ يخشى ان يكون ذلك - انه الخطأ الوحيد في
الكتاب .

لو كانت القضية الخلقية في رواية صورة دوريان غراي
حقيقة ثابتة فان فحوى الكتاب ، وكل مناخه الفكري ، لا شك
يختلف عن ذلك وبصورة مغايرة . وليس هناك من اعماله
الادبية ما وفر له البهجة والسعادة - باعترافه هو - مثلما
وفرته له هذه الرواية . لقد سرته هذه الرواية كثيرا ، لانه
تمكن من ان يعبر فيها عن مشاعره وآرائه الذوقية فسي

الجمال • وهو كأي انسان كان مرغما لعدة سنوات للقيام بعملية تنظير الجماليات الداخلية ، حتى اصبحت العملية في النهاية جزءا من البيت الذي كان يقوم بتزيينه بنفسه • وهذه الرواية فتحت لاوسكار وايلد المجال للتعبير عما في ذاته بحرية اكبر مما كان بإمكانه ان يفعله في كتاباته النقدية • « اعط الانسان قناعا وسيخبرك بالحقيقة » • وهكذا كانت الشخصيتان في الرواية ، انما هما اوسكار وايلد نفسه • وتقول مادلين كازاميان :

« انهما اوسكار وايلد ، المزدوج الشخصية في روايته ، فهو قد تقمص افكار احد البطلين ، وعبر عن احساسيس ومشاعر الاخر ، وكان هذا بسبب طبيعتهما اللتين لا يمكن تجاوزهما • » (١)

ان الكتاب محير ومعقد • فان البعض استعمل اقصى الالفاظ ، وهي « التفسخ » وذلك ليس بسبب وجود شيء غير اخلاقي فيه ، اذ ان كتابات اوسكار وايلد تتسم بعدم وجود اللااخلاقية ، لكن المناخ الشعوري الذي يقتحمه القارئ انما هو شاذ بكل تأكيد • ومقطع صغير منه يوضح لنا ذلك :

« وخرج اللورد هنري الى الحديقة ، فوجد دوريسان

(١) مادلين كازاميان : الرواية والافكار في انكلترا - الجزء الثاني - باريس ١٩٣٥ Roman et les idées en Angleterre

غراي يدفن وجهه بين ازهار الليلك المنعشة يستاف عبيرها
كأنه نبذ كريم • ودنا منه ثم وضع يده على كتفه وقال في
صوت خافت : - ها قد عرفت طريقك الى الخلاص يا دوريان
لا شيء يمكنه ان يظهر الروح الا اللذائذ الحسية ، كما لا
يمكن لاي شيء ان يظهر اللذائذ الحسية ما عدا الروح ••
وليس هناك الا وقت قصير لشبابنا الذي سيذوي وهو خليف
ان يذوي •• ان الازهار السانجة النامية على البطاح تذبل
مع الخريف ، ولكنها تتجدد في مقدم الربيع ، وهذه الشجرة
الصفراء التي تتوهج الان امام عينيك سوف تسترد ما عليها
من نضار في مثل هذه الايام من العام القادم ، ولسوف
تكسو النجوم الحمر ادواح الداليا بعد شهر واحد ، وتلمع
تلك النجوم في ليل اوراقها الخضراء سنة بعد اخرى ، اما
نحن فشابنا المهرق لا يعود ، واشواقنا تخبو وافراحنا تهن
ابداننا وتنطفئ حراسنا ، ونؤول الى دمي كريهة لا نفع
فيها ، دمي تحن الى ما فات ، وقد كانت ترتعب في القديم من
نداء السعادة ، وتتأوه على الغوايات الحلوة ، وقد كانت لا
تجرؤ على اطاعتها ايام الشباب • فحي الشباب ، انه كل
ما في الدنيا من صور النعيم » •

ان رواية صورة دوريان غراي هي اول اعمال اوسكار
وايلد الكتابية التي اوضح فيها الحب الشاذ (الجنسية
المثلية) ، هذا الحب الذي لم يجزؤ على البوح به أحد من
قبل • وان هذا يؤدي بنا الى نكران ان اوسكار وايلد كان

(جنسيا مثليا) اي لوطيا بالقطرة ، وشاذا في علاقات الحب ، اي (جنسيا مثليا) • بل ان زواج اوسكار وانجابه ولدين ، هما برهان ساطع لنقد هذا الرأي • فهو ربما يكون (جنسيا مثليا) اي لوطيا سلبييا (انثويا) ولفترة ما ، لم يلحظ هو بنفسه هذا • ولم يثر اية فضيحة في اوكسفورد طيلة ايام دراسته فيها • لذا يفترض انه قد مارس لاول مرة ، تجربة الحب الشاذ (الجنسية المثلية) مع روبرت روس الذي التقى به وهو طالب في اوكسفورد عام ١٨٨٦ • ولكن في السنة التي سبقت ظهور رواية صورة دوريان غراي كان قد التقى بشاب اخر هو الذي توغل به اكثر فاكثرا الى الكارثة النهائية • لقد طرق القدر الباب في شارع ١٦ ثابت في شخص الشاعر الشيخ ويكها ميست لينونيل جونسون ، اللوطي الاوكسفوردي الشهير الذي شرع بهذه الممارسات مع اللورد الفرد دوغلاس ، وهو الشاب الذي قاد اوسكار وايلد الى الكارثة •

ان عام ١٨٩١ كان نقطة تحول في مجرى حياة اوسكار وايلد في اكثر من طريق • ولم يعد بالامكان ، كما كان يحدث في الثمانينات من طرده بسبب كونه مجرد مهرج • فما عاد الناس يولعون بفكاهاته • فوجه لهم الضربة تلو الاخرى بعد ان تمكن من ترسيخ شخصيته الادبية ، فاصبح بطل زمانه • وان امكانياته الفذة في الحوار ، وسحر شخصيته الفائق فتحت له المجالس حتى التي تتعصب ضده • ولكن ليس

اعدائوه وحدهم بدأوا يشعرون بعدم الراحة حينما اخذ يحقق انتصاراته . فظهرت في سلوكه روح انعزالية ، وقناعة جديدة بالمعايير الحياتية اليومية التي يتوجها التعصب . وفي نفس هذه السنة ١٨٩١ نشر شيئا من كتاباته الاولى مع اضافات تحت عنوان (مفاهيم Tentation) ومع ان القراء كانوا مبهجين بنبأه العديد من دعاياته ، لكنهم ايضا كانوا يرتعبون من مبادئه وافكاره ، فكانوا يقبلون عليها في حذر شديد .

لكي يحب المرء سيكون على عتبة بداية الحياة الخيالية
المديدة .

والطريق الوحيد للتعويض عن اناقته الفارغة ، هو ان يكون مثقفا فذا .

وفي جميع القضايا الثقافية يكون الاسلوب ، وليس
الاخلاص هو الضروري .

وفي جميع القضايا المهمة يكون الاسلوب وليس الاخلاص
هو الضروري .

ان الواجب الاول في الحياة هو ان تكون متكلفا بقدر
الامكان . اما الواجب الثاني فلم يكتشفه بعد اي احد .

ليس كل جريمة مبتذلة ، لكن كل ابتذال هو جريمة •

والشر اسطورة اخترعها شعب فاضل •

هناك شيء مأساوي عن عدد ضخم من الشباب ، هنا في لندن في اللحظة الحاضرة ، وهم يبدأون حياتهم بصور مثالية ، وينتهون باحتراف مهنة مجدية •

وكما لو كان اوسكار وايلد يريد اثارة حيرة الناس الذين ما زال يصفهم باستعراضه النصف شهري ، في صحيفة (روح الانسان في ظل الاشتراكية) وهو يدافع عن الاشتراكية على اساس انها تحرر الجماهير الشعبية من الاستغلال وتنقذهم من الاضطهاد الذي تسلطه قلة من الافراد المستغلين الجشعين ، فيحرمون تلك الجماهير حتى من ابسط ضرورات الحياة • افلا يجب ان يعامل مثل هذا الانسان بجدية ؟ بكل صراحة ، لا • لانه هو نفسه قد انكر الاخلاص لمثل هذه المثل النبيلة ، واعتنق المذهب الذي يدعو الى التائق والتسكع ، وهو الفنان الفظن ذو البديهة الحاضرة كما وصفه آرثر سمونز فيما بعد •

وكان اوسكار وايلد ، حتى هذه الساعة قد عالج باللغة الانكليزية فنون الادب نثرا وشعرا ، فبدا له في باريس ان يرد التحية للفرنسيين بتأليف مسرحية بلغتهم ، واختار لذلك

موضوع « سالومي » Jaïome . ولعله كان متأثرا فسي اختيار موضوعها بقصة الاديب الفرنسي غوستاف فلوبير ، وفي اسلوب تناولها بالاديب البلجيكي مترلنك ، اشهر كتاب المسرح الرمزي . وهكذا كتب اوسكار وايلد عام ١٨٩١ مسرحية سالومي باللغة الفرنسية ، وقدمها باهداء الى الاديب الفرنسي بيير لوي . ومن المحتمل ان يكون بيير لوي قد هذب له لغتها . وفي لقاء له مع الممثلة الفرنسية ساره برنار في حفلة اقامها الممثل الانكليزي هنرك ايرفك وافقت ساره برنار على القيام بتمثيل دور البطولة فيها . وعن سبب كتابته لهذه المسرحية باللغة الفرنسية اجاب :

« لدي اداة واحدة اعرفها وهي طوع امري ، تلك هي اللغة الانكليزية ولدي اداة اخرى ، وقد استمعت اليها طول حياتي ، فأريد ان استعمل هذه الاداة مرة واحدة ، لارى فيما اذا كنت استطيع ان اصنع منها شيئا جميلا . . وان الشيء الملفت للنظر يأتي من حقيقة كون مترلنك فنلنديا وقد كتب بلغة اجنبية » .

ويصدد هذه المسرحية ركز (ماريو براز) على النقطة نفسها بطريقة عدائية اذ صرح قائلا :

« انها مقتبسة من مسرحيات مترلنك ، حيث استمد الثرثرة الطفولية التي استخدمها على لسان شخصيات

مسرحية سالومي ، التي اضعفت الاتجاه الشهواني في قصة
فلوبير (اغراء) وجعلتها في مستوى قصة تربوية للاطفال .

وكان بران يستغرب ان تكون كل الاشياء بقصد المزاح ،
لكن حتى وان وافق على ان اوسكار وايلد قدم فكرة جديدة -
وشريرة - في القصة الاسطورية وذلك بجعل سالومي تقع في
غرام يوحنا المعمدان ، خاصة حينما يظهرها وهي تقبل
المشفقين في رأسه الذبيح في شهوة عارمة لمضاجعته وهو
ميت . وقد وجد ماريو بران شيئا لهذا ايضا عند الشاعر
الالماني هايني من بين مصادر اوسكار وايلد المعروفة .

وقبل ان يتم تمثيل مسرحية سالومي اثير لغط وضجة
حولها ، وقد اشرفت المسرحية على نهايتها من ناحية الاعداد
المسرحي . ومن المحتمل ان يكون اللورد تشمبرلن قد رفض
اجازة المسرحية . فهدد اوسكار وايلد بنقض غبار لندن عن
قدميه ، وان يعيش في باريس - مقام الفنانين . وربما يكون
الاحسن له لو كان قد فعل ذلك . وفي باريس لم يتمكن
اوسكار وايلد من الوصول الى تحقيق نجاح ولو محدود ،
لكن المسرحية مع ذلك طبعت هناك عام ١٨٩٣ . وفي السنة
التي تلت ظهرت ترجمتها الانكليزية الشهيرة . وهذه الترجمة
قام بها صديقه الحميم الفرد دوغلاس . لكن لم يكن هذا
النص يفي بالغاية ، بل كان يحتاج الى مراجعة شاملة . وما
ادى الى شهرة المسرحية انما هو الصور التي رسمها الفنان

« اوبري بيروسلي » . اما اوسكار وايلد فلم يرض بتلك الصور ، ولم يحب عمل « بيروسلي » على الاطلاق . فحينما ظهر العدد الاول من الكتاب الاصفر عام ١٨٩٢ اطلق عليه عبارة « بليد ، تعافه النفس ، وهذا فشل كبير - وانا مسرور جدا » ، وحتى لو وافق اخيرا على ان (ماكس بعد التزيينات) كان « رائعا » فهو لم يتعاطف كثيرا مع حركة (التسعينات) التي نفخ فيها روحا جديدة . وبالتأكيد فان صور الفنان « بيروسلي » لمسرحية سالومي قد اضافت لمسات شيطانية ضافية الى الكتاب الذي رفع من شهرة اوسكار وايلد قليلا .

في هذه الاثناء حدث ما شغل اوسكار وايلد عن هذه المسرحية التي تعذر تمثيلها بمسرحية اخرى مرشحة للتمثيل من قبل اشهر ممثل في زمانه هو « جورج الكسندر » . والكسندر هو الذي طلب منه ان يكتب مسرحية بموضوع عصري لما توسم في اوسكار وايلد من موهبة مسرحية . وما ان حصل على دفعة مالية محترمة هي (١٠٠) مائة باون ، حتى بادر الى الكتابة فأنجز اربعة فصول في شهرين ، واختار لها عنوان « الليدي وندرمير » نسبة الى بلدة انكليزية في منطقة البحيرات شمال انكلترا ، ثم سماها بعد ذلك « مروحة الليدي وندرمير » . وحينما قدمت للمسرح اختار لها عنوان « مروحة الليدي وندرمير » . وتعتبر هذه المسرحية هي الهزلية الاولى لاوسكار وايلد عن الحياة العصرية ، فاذا رواد المسرح يجدون مرة اخرى تلك الضحكة وتلك الدمعة

التي هم مولعون بهما . ولكنهم هذه المرة يجدونها في شكل جديد أكثر جدارة وارتفاع كفاية ، فلا غرو إذا رأينا رواد المسرح الذين سئم سوادهم « مسرحية الافكار » ، فيقبلون على هذا المسرح القديم الجديد بحماسة ظاهرة . وما من شك في ان مسرحية (الليدي وندرمير) تستحق ما لاقته من نجاح منذ ليلتها الاولى في العشرين من كانون الثاني ١٨٩٢ على مسرح سانت جيمس . وكانت الدار مزدحمة تلك الليلة بالمشاهد من رجال الادب والفن . ولكن لندن كلها ما لبثت ان نزلت على رأيهم في الاعجاب بالمسرحية ، وخرجت الصحف المعادية لمؤلفها على سابقة عدائها ، فخلعت للمرة الاولى قلائد المديح ، وشهد له اعلام الادب بأنه على قلة جده ينطوي على فنان جاد . وعلى خشبة المسرح لم يكن الفصل الاول قد انتهى حتى ادرك جميع من كانوا يشهدون المسرحية في ليلتها الاولى في مسرح سانت جيمس أنهم لم يضيعوا امسيتهم . وكان نزول الستار بعد كل فصل بمثابة الايدان بعاصفة من تصفيق الاستحسان .

ويمكن اعتبار المسرحية فيما يتعلق ببنائها من النوع الذي اصطلح رجال المسرح على تسميته (المسرحية المتقنة البناء) وهي التي يعنى مؤلفها شديد العناية باستنباط الوقائع - وان يكن بعضها قليل الشبه بالواقع - وتأليفها في حبكة بارعة بحيث ينقلب الموقف في كل آن بما ليس في الحسين ، وأخيرا بعد الكثير من المثل والمطاوله يكون حل

العقدة أو العقدة مفاجأة مثيرة غير منتظرة • وهذا هو نوع المسرحية الذي صار على يد كاتب المسرح الفرنسي (اوجين سكريب) مسألة الية • وقد راعى اوسكار وايلد في مسرحيته الا تتجاوز وقائعها الاربع والعشرين ساعة ، اي انه تقيّد بالنظريات القديمة المنسوبة الى ارسطر ، والزم نفسه قواعد المسرح الكلاسيكي الذي اقام راسين وكورني عهده الذهبي في القرن السابع عشر •

ونحن نجد في هذه المسرحية نماذج من المجتمع الانكليزي من النبلاء المتحذلقين والفاستدين في ان واحد ، تلعب بهم الالهواء والمخاتلة والدسائس ، يحاول بعضهم ايقاع البعض الاخر بالسلوب مليء بالفكاهات والدعابات والمفارقات الساخرة •

وفي اوائل عام ١٨٩٣ كتب اوسكار وايلد مسرحية اخرى هي مسرحية « امرأة غير ذات قيمة » ، التي مثلت على المسرح الانكليزي في التاسع عشر من نيسان من العام نفسه ، اي ١٨٩٣ • وقد قام باخراجها وتمثيلها السير بيير بوم تري ١٨٥٣ - ١٩١٧ في مسرح هيماركيت بلندن •

ان هذه المسرحية تعرض قضية فتاة خدعها شاب خليع بوعوده البراقة الكاذبة ، حتى اذا اسلمت له نفسها عاد فحنث فيما وعدها به من الزواج ، ولم تنجح ضراعتها

ولا نصائح ابيه في ايقاظ ضميره والبر للفتاة بوعوده ٠٠ ولا تملك الفتاة الا ان تحمل وليدها وتناى به الى مكان سحيق وتغير اسمها فتدعو نفسها مسز اربوثانت ، وتخوض معركة جهاد مضمّن شريف ٠٠ وتمضي عشرون عاما ٠٠ ويكبر ابنها ، ويلقى احد اللوردات الذي يعجب به ويعرض عليه ان يتخذ منه سكرتيرا له ، ويستشير الشاب امه ، فاذا ذكر لها اسم اللورد ، فهي تنصحه بأن لا يقبل المنصب ٠٠ ويلج الفتى في معرفة السبب فلا تملك الام الا ان تخبره ، بأن اللورد هو ذلك الشخص الدنيء ٠٠ النفورث ، الذي اعتدى عليها منذ عشرين عاما ٠٠ فكيف تطيق ان يعمل ابنها عنده ٠٠ والام هنا لا تخبر ابنها بأن هذا اللورد النفورث هو ابوه . انها تؤجل البوح بهذا السر الى حادث تال . وذلك حينما يهوى ابنها الفتاة التي يغريها اللورد النفورث لانه لم يفارقه طبعه في مغازلة الحسان ، فيحاول ان يفوز بقبلة من الفتاة على مشهد من جيرالد - الابن - فيثور جيرالد ، ويهم بقتل ابيه اللورد ، لولا ان تتدخل امه في اللحظة الحاسمة ، وتخبر ابنها ان اللورد ليس شخصا اخر غير ابيه ٠٠ ابيه صاحب الجريمة القديمة . وهنا يحاول الابن ان يصلح بين الام والاب . ويحاول ان يقنع والدته بأن تصبح زوجة للورد ، لكن الام ترفض رفضا تاما ان يكون هذا المجرم الحانت زوجا ، وتشجعها الفتاة على هذا الموقف ، وتقترح ان يهاجر الثلاثة : الام والابن والفتاة الى اميركا بعيدا عن حياة لندن الموبوءة ، ليكافحوا من اجل حياة جديدة .

والمسرحية كما نرى لا تختلف عن جميع هزليات اوسكار وايلد الاربعة فهي تشتمل كسائر هذه الهزليات على عنصر المفاجأة ، وعامل التحول الذي يظل خافيا علينا حتى نفاجأ به ، وتفاجأ به بعض شخصيات المسرحية في مرحلتها الاخيرة . وهذا العنصر هنا هو اتضاح او انفضاح .. شخصية النفورث لابنه وهو يهم بقتله .

ولعلنا نلمس هنا اثر ابسن في رسم شخصية الام التي ترفض التزوج من النفورث الذي اقدم على جريمته القديمة معها ، وحدث بوعدة لها منذ عشرين عاما ، هذا وان يكن البون شاسعا بين فلسفة كل من الكاتيين . لان اوسكار وايلد كان لا يحبذ تعبير الفن للحياة ، بينما كان ابسن يتخذ منه اداة لاصلاح الحياة والمجتمع .

وفي خريف عام ١٨٩٣ شرع اوسكار بالعمل في ملهاة جديدة ، ذات عقدة اخلاقية تحت عنوان « زوج مثالي Ideal Husband » . وللاضطراب الذي حدث في علاقة اوسكار وايلد مع (بوزي)فانه لم يتمكن من اكمالها حتى السنة التالية ، فأخرجت على مسرح (هينماركيت) في الثالث من كانون الثاني عام ١٨٩٥ فاستقبلت باستحسان رائع من الجمهور ، وان لم تستقبل بمثل هذا الاستحسان من قبل جميع النقاد . وفي المقابلة التي اجريت معه ، وصل اوسكار وايلد الى قمة الاستفزاز ، اذ ان الغرور والغطرسة اللتين حققهما بعد وقت وجهد جهيد قد لعبتا دورا كبيرا في تأكيد

انهياره • فصرح انه (لا يبالي ابدا) بنجاح مسرحيته • فقد كان مشتاقا لان يعرف ان الجمهور هو الذي يقرر النجاح • وان الجمهور يقرر النجاح عندما يميز المسرحية باعتبارها عملا فنيا • وفي الليالي الثلاث التي عرضت فيها المسرحية في لندن اكد الجمهور قراره في هذا النجاح ، اذ كان جمهور النظارة غفيرا ، « انا اريد ان ادعوهم وانا امام ستارة المسرح » •

وفي الثالث من كانون الثاني سنة ١٨٩٥ مثل بير يوم ملهاة اوسكار وايلد « الزوج المثالي » • وكانت ملهاة ناجحة كسابقتها ، حشد فيها اوسكار من جوامع كلمه وقوارص مفارقاته • ولا سيما في الفصل الاول - ما لم يحشده في ملهاة له من قبل ولا من بعد • لقد كانت مسرحية الزوج المثالي اللطمة الثالثة التي وجهها اوسكار الى وجوه ناقديه فأفحمتهم والزمتهم الصمت ، وجعلتهم يؤمنون بأنهم امام الكاتب الذي احيا سنة كاتب الملهاة الانكليزية واعظم روادها وليم كونغريف ١٦٧٠ - ١٧٢٩ وزعيم الملهاة السلوكية الاشهر الذي ضاع في زحمة كتاب المسرحية الملهاة الهابطة في فترة عودة الملكية في انكلترا ، وظلمه ناقد جيرمي كولير (١٦٥٠ - ١٧٢٦) حتى جعله يعتزل التأليف المسرحي • اما اوسكار وايلد فقد استطاع ان يقاوم تيار مسرحية الافكار ومسرحية المشكلة ، وان يعيد للملهاة الانكليزية تيارها الجارف الذي خلقه لها كونغريف من الضحك الخالص الذي

يفضح مع ذلك على سلوك العلية وينشر فيها مخازيهم ، الامر الذي لم يسبق اليه اوسكار وايلد غير الكاتب الايرلندي الفذ رتشارد برنسلي شريدان ١٧٥١ - ١٨١٦ مؤلف ملهاتي الغرماء ومدرسة النميمة .

تدور عقدة ملهاة الزوج المثالي حول دسائس مسـز تشيفرلي ومخادعاتها تلك السيدة التي تبدو عبقرية فـذة سحابة النهار ، وغادة تأسر القلوب بجمالها في ظلال الليل ، واننا نراها في مطلع المسرحية وهي تتألق في حفلة مسائية اقامها لورد وليدي شيلتون في قصرهما في لندن . ولا تلبث الليدي شيلتون ان تتبين فيها احدى صويحبات الدراسة التي طردت من المدرسة بسبب سرقة ارتكبتها . وكذلك يعرفها روبرت شيلتون ايضا ، وان لم يبيع بسرهما لزوجته . وروبرت هذا في الاربعين من عمره ، ويعمل وكيلا لوزارة الخارجية وهو معروف مشهور باستقامته ونقاء سمعته ، وان يكن قد ارتكب اثما شنيعا قبل ثمانى عشرة سنة . ذلك ان شهوته الى اقتناء المال والحصول على الثروة في ذلك الوقت جعله يبيع احد اسرار الدولة بمبلغ طائل من المال . وتفلح المسز تشيفرلي في الحصول على الخطاب الذي يدين اللورد روبرت شيلتون ، وهي تستعمله الان لابتزاز ما تشاء من الاموال منه . ثم تجعله يعطي موافقته على احد المشروعات المقدمة للوزارة وهو المشروع الذي كان يعارضه معارضة شديدة . ولا يملك المسكين اخر الامر الا ان يوافق انقادا لسمعته من

الفضيحة • وعندما تعلم زوجته بتحويله عن رأيه في المشروع المذكور ، وهي لا تدري سبب هذا التحول ، تشعر بصدمة شديدة تؤرقها وتنفي عن عينيها طيب المنام ، حتى يضطر روبرت الى الكتابة الى مسز تشيفرلي يخبرها انه لن يستطيع البر بوعده في الموافقة على المشروع اياه • وفي اليوم التالي تزور المسز تشيفرلي ، الليدي شيلتون ولا تلبث ان تتشاجرا شجارا عنيفا تضطر في نهايته مسز تشيفرلي ان تبوح لها بسر الجريمة القديمة ، ويمنح اللورد شيلتون منصبا وزاريا يزيده ثراء على ثرائه •

واذا انتقلنا الى مسرحية اوسكار وايلد الرابعة وهي مسرحية « اهمية ان يكون المرء جادا » نجد ان مؤرخي اوسكار وايلد يقولون انه كتب ملهاته هذه - وهي احسن مسرحياته الملهاة - في ثلاثة اسابيع • وقد كتبها في الفترة التي ذهب مع عائلته الى ضاحية وذرك بمقاطعة سكسي في منزل رقم ٥ ش اسبلانيد لقضاء فترة من الراحة والدعة • فهذه المسرحية في نظر مؤرخي المسرح تعتبر حدثا عظيما تستحق ان نسجل جميع حركات المؤلف التي مهدت لها وتمخضت عنها • ورجع اوسكار الى لندن ليحضر الليلة الاولى بعرض مسرحيته هذه ، اهمية ان يكون المرء جادا • وكان ذلك في الرابع عشر من شباط عام ١٨٩٥ وهي سنة كارثة اوسكار وايلد ومحنته • وهذه المسرحية تعتبر احسن مسرحياته على العموم ، اما الثلاث مسرحيات اللاتي سبقنها .

فقد ظهر فيهن التكلف والتصنع بينما كانت هذه المسرحية تحوم فوق التصنع وتحلق في عوالم الخيال . ومع ذلك فهي كما يخال أكثر ارتباطا بالمذهب الطبيعي من الهزليات الاخريات . وليس هناك سلسلة جمل ولا كلمات لا جدوى منها ، ولا مشاهد (عنيفة) ولا (فصول) . فنحن نتقبل ايداع طفل في حقيبة يد في مخزن البضائع المهمة في محطة فكتوريا تليه تعقيدات ، الواحدة تلو الاخرى ، وبدقة رياضية ، وشخصية المسز براكتيل انما هي خلق حقيقي . وهكذا يجب على مثل هذه المرحومة السيدة الفيكتورية الكبيرة ان تتحرك وتتكلم . فالذكاء لا يرتبط بالشخصيات ، انما هو يفيض عن المواقف . والشيء كله برقة الهواء ، وهو يظل نقيا ومبهجا في الوقت الحاضر ، مثلما كان اول ما كتب . فالجمهور في عرضها الاول استقبلها بفرح طاغ ، وحتى النقاد في هذا الوقت كانوا قد اجمعوا على الثناء عليها .

وهذه هي الملهة الخفيفة ، او المهزلة اللطيفة التي جعل منها اوسكار وايلد ، سمفونية (قصيدة موسيقية) ساحرة تخلب الالباب بجمالها ، فاذا بحثنا فيها عن موضوع لم نجده لان انصار الادب الجمالي - كانصار الفن الجمالي لا يخضعون ادبهم او فنهم لدنيا المشاكل وقضايا الحياة ، انما هم يصنعون جمالا . ثم لا بأس ان يخرجوا لخصومهم السنتهم خلال العمل الفني ليسخروا منهم وليستهزئوا بهم ، وبأهل العلية من المجتمع وبأدعياء العلم والتطفلين على موائد المعرفة ، ومن لم يصلوا الى قمة الجاه ، الا لكونهم

فارغين من كل ما يشرف الانسان . واننا لا نكاد نجد حقيقة من تلك المسرحية الضاحكة او غيرها من مسرحيات اوسكار او قصصه خالية من جوامع كلمه ومفارقاته ، من ذلك مثلاً سخريته بالثقافة العصرية حيث يقول : « ان الثقافة العصرية تقوم في الغالب على ما لا ينبغي للمرء ان يقرأه » ، او يقول في الحياة العصرية والادب الحديث : « قلما تكون الحقيقة شيئاً خالصاً لا تشويه شائبة ، وقلما تكون بسيطة ، وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احدهما ، وليكونن الادب الحديث في حكم المستحيل كل الاستحالة اذا كان هذا او ذاك » او يقول في سقم ادواق المستمعين للموسيقى : « انك تعلمين انه اذا عزف الانسان موسيقى لم ينصت له الناس ، واذا عزف موسيقى رديئة لم يتحدث منهم احد » او يقول في مدح الجهل : « اني لا اوافق على ان تشوب الجهل الخالص اية شائبة ، فالجهل اشبه شيء بفاكهة رقيقة مستورة ، اذا مسستها ذهبت عنها فاضارتها . . وان نظريات التربية الحديثة في انكلترا فاسدة من اساسها ، ومن حسن الحظ ان التعليم عندنا لا تاثير له ، والا لكان خطراً داهماً على الطبقات الراقية » ، او يقول في المتاعب : « اني احب المتاعب لانها الاشياء الوحيدة غير الخطيرة » ، او يقول في وصف علم البعض : « انه رجل من اوسع الناس علماً واشدهم تبحراً في المعرفة . . انه لم يؤلف في حياته كتاباً واحداً ، ومن ثمة تستطيع ان تتخيل عظم ما بلغ من العلم » .

انها الحقيقة في ان حركة التسعينات قد استمرت ، فلو لم يعد الكتاب الاصفر يستلزم خدمات (بيروسلي) أكثر بسبب علاقته بمسرحية (سالومي) لوجد منقذاً آخر بعبقريته في (السافوي) . وان بقية الشعراء الرمزيين وهم من القلائل الذين كانوا من بين اصدقائه الشخصيين ، وممن كانوا يكتبون اشعارهم ويشربون حتى الموت . ولكن هناك قليل من الشك في ان عار اوسكار وايلد قد اثار حافزا جديدا ، وعذرا جديدا للشخص الصاحب (البلوتوقراطي) - ربيب النظام الارستقراطي ، المادي النزعة حيث ميز هذه السنوات القرية من نظام الملكة القديم .

لكن اوسكار وايلد لم يكتب شيئا بعد عام ١٨٩٥ ما خلا رسالته الطويلة الشهيرة الى الفرد دوغلاس بعنوان - من الاعماق ، وكان ذلك داخل سجن ريدنك جيل ، ثم كتب بعد ان خرج من السجن (انشودة سجن ريدنك جيل) فقط .

وحينما توفي اوسكار وايلد ، كان عمره (٤٦) سنا واربعين سنة ، وهي السن التي يكتب فيها اكثر الادباء والفكرين اعظم اعمالهم . فان حياة السجن قد اطفأت جذوة عبقريته ، فلم تعد الى الاشرار مرة ثانية . فلکم كان اوسكار يتحدث عن الكتابة والتأليف ، لكنه حينما كان يريد الشروع بالكتابة فعلا ، كان يملكه شعور بعدم الثقة ، ويفكر بالمشاكل المحتملة الوقوع . . انه كان يفكر كثيرا في مسألة استقبال الناس لتأليفه الجديدة ، لانه كان يخاف الا يستقبلوها كما كانوا يستقبلون كتبه قبل الكارثة . فظل حتى وفاته يعاني مشكلة امكانية اعادة بناء وترميم حياته الادبية .

الفصل الخامس

الكارثة

ان اوسكار وايلد واللورد الفرد دوغلاس - بوزي - كما كان يدعو اوسكار نفسه ، قد بدأ الان عام ١٨٩٢ يظهران سوية . وقد ينكر ان يكونا متحابين ، الا ان (بوزي) اصر على التصرف كما لو كانا متحابين ، فجعل اوسكار وايلد يدخل « سافوي » معه من الباب النظامية - وقد حاول اوسكار وايلد ان يدخل من الباب الجانبية - لكي يراه كل امرئ ، فيقول : « انه اوسكار وايلد وصاحبه » . فلو لم يكن هناك تأثير سيء في علاقتهما ، فان اوسكار توقع ان تنتابه ازمة مالية ان عاجلا ام آجلا ، لان (بوزي) كان يحب التباهي ، ولانه كان انانيا ، وكثير الطلبات الى حد النزق . وقد كان الفرد دوغلاس - بوزي - يتملص من دفع اي مبلغ حتى عن نفسه . ومع ذلك كان يتوقع ان يتمتع بالجلوس في افخم المطاعم وهو يقزود بأرقى وأغلى انواع اللقائف ، ويتوقع ان تأتيه الهبات في اي وقت يشاء . اما التهمة الموجهة الى الفرد دوغلاس ، فهي كونه قد بدد وقت اوسكار وايلد أكثر

مما بدد ماله • وقد كان الفرد دوغلاس متكاسلا جدا ، ويتوقع ان يكون صديقه كذلك • وقد كان عليه ان يعرف ان الطريق الوحيد الذي يكسب به اوسكار وايلد عيشه ، هو لكي يعيش عيشة الامراء ، وعن طريق العمل الادبي • وان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يقال لصالح (بوزي) ، هو اسرافه الذي كان يجبر عليه اوسكار وايلد ، ليجرب يده في عمل ادبي اخر ، وهو الطريقة الوحيدة التي يمكن للاديب فيها من نيل المال بسرعة ، وذلك هو المسرح • فحاول اوسكار كتابة المسرحيات • ويعتقد ان مسرحية (فيرا) قد كتبت في فترة مبكرة جدا من عام ١٨٧٦ • وقد مثلت على المسرح في لندن قبل سفره الى اميركا عام ١٨٩١ ، الا ان هذا المشروع قد اسقط • فمثلت هذه المسرحية في نيويورك عام ١٨٩٣ ، فأبحر اوسكار وايلد ثانية الى اميركا لكي يحضر حفلة الافتتاح بعد ان ارسل الى الممثلة التي تقوم بالدور الاول في المسرحية ، قطعة قماش تصنع منها ثوبا ترتديه البطلة في المسرحية وباللون الذي اختاره اوسكار نفسه • لكن تمثيلها في اميركا قد اوقف بعد اسبوع واحد •

وان الابتهاج بنجاح مسرحية « زوج مثالي » والمسرحية الرابعة التي كتبها بعنوان « اهمية ان يكون المرء جادا » اثناء التمرينات جعل اوسكار وايلد ، يرحل في اجازة الى شمالي افريقيا ، مستصحبا معه (بوزي) • ولا شك ان هذا العمل كان ينطوي على استخفاف كبير بالقيم الاجتماعية • وذلك

لان والد (بوزي) المركيز كوينز بيرري - اثار مشكلة ، وهدد بتحطيم شخصية اوسكار وايلد اذا لم يحاول قطع علاقته بابنه والابتعاد عنه . وفي « بسكرا » التقى الاثنان ، اوسكار وايلد والفرد دوغلاس بالاديب الفرنسي اندريه جيد . واندريه جيد في هذا الوقت كون له رأيا عنهما كما اوضح انطباعه المصريح والجريء الذي خلقاه له اثر هذه المقابلة . فقد وجد اندريه جيد ان (بوزي) لا يثق بالناس وانه اناني و « رديء » و اوسكار وايلد بالرغم من تآلؤه في الاحاديث الا انه ظهر مفعما بنذر الشر . ومن الخير ان نسجل ان حكم اندريه جيد على اوسكار وايلد ، انما كان حكما متكاملا . فالناس لا يمكن ان يتحققوا دائما من الحقيقة والحكمة ، والجدية التي يخفيها قناع المهرج .

بعد عرض مسرحية اوسكار وايلد « اهمية ان يكون المرء جادا » كانت نقطة الاوج في مجرى حياته ، فتوغل عميقا في الريف لبضعة ايام ثم عاد الى لندن ليجد بطاقة من (اللورد كوينز بيرري) في انتظاره ، وعليها عبارة اهانة ، تسلمها في نادي (البيمارل) فنصحها اصدقائه . . واصدقاؤه الخالص بالذات ان لا يعلق شيئا على الامر . واخبره (فرانك هاريس) ان الضرورة تقتضي الرحيل الى الخارج على ان يأخذ معا زوجته وطفليه . لكن (بوزي) قام بعمل طائش سبب فضيحة جديدة لعلاقتهما ، وبدون اي اكتراث لمصير اوسكار وايلد ، بل حتى بالنسبة للعار الذي يلحقه باسمه ، اذ رغب في اذلال

والده اللورد كوينز بيرى ، وان يقوده الى السجن ان كان ذلك بالامكان . فسمح اوسكار وايلد لنفسه قبول ما حثه عليه (بوزي) لان يقوم بعمل يتضمن طعنا جرميا ضد المركيز كوينز بيرى .

ان تفاصيل المحاكمة قد عولجت بصورة تفصيلية في كتب اخرى (★) . وما فيه الكفاية ان نلاحظ ان عمل اوسكار وايلد قد خاب كما كان يعرف كل امرئ مدرك ، وانه يتجه نحو الخيبة ، فقد القي عليه القبض بتهمة جنائية ، لكنه في المرافعة الاولى لم يتفق المحلفون على ادانته ، فاطلق سراحه بكفالة . وهنا حثه جميع اصدقائه على الهرب ، وعرض عليه فرانك هاريس ان يرحل الى فرنسا على ظهر « اليخت » الذي يمتلكه ، وكان راسيا في نهر التيمس وهو على اهبة الاقلاع به ايضا ، اينما يشاء . لكنه رفض الهرب . وفي المرافعة الثانية ادين اوسكار وايلد على انه مجرم ، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين .

يصعب في الوقت الحاضر بالنسبة لاي فرد في ان يتحقق من المشاعر التي سببتها المحاكمة وقرار التجريم الذي صدر بحق اوسكار وايلد . ففي الوقت الحاضر نجد ان اكثر

★ لقد كتب في هذا الموضوع دراسة مفصلة بعنوان : اوسكار وايلد امام القضاء (باللغة العربية) : الياس ابو شبكة .

الناس يتعاطفون مع فكرة « الجنسية المثلية » اللواط ، بل وهم مستعدون للاعتقاد ان هذا انما هو اقرب الى عيادات الاطباء النفسيين فيه الى مرافعات القضاة والمحامين وقرارات المحاكم . وان وجودها بالنسبة للكثير من الفيكتوريين المتأخرين لم يكن معروفا . لكننا في ذلك الوقت بالذات كان الامر يختلف تماما . فبعد ان كان هذا الشخص في قمة نجاحه ، وبعد ان نشر مسرحيتين رائجتين في لندن ، استمر عرضهما فترة طويلة حتى بعد ان حذف اسم مؤلفهما من لوحة اعلانات العرض ، لان المؤلف قد تحول فجأة الى مجرم . وكان بالنسبة للبعض كأنما حكمه هو امر طبيعى ، بل هو حكم الهى . اما الرجعيون واعداء التقدم فقد مسحوا ايديهم ، اعتقادا ان النجاح دائما هو امانة لغبائهم ولافتقارهم الذوق الذي قاد الى تلك النهاية الحقيرة .



في عصر يوم السبت الخامس والعشرين من مايس ١٨٩٥ صدر قرار حكم المحكمة بادانة اوسكار وايلد مجرما ، لانه قد ارتكب عددا من الاعمال التي تتناقض وتعديل القانون الجنائي لعام ١٨٨٧ . فلقد كان اليوم السادس من المرافعة الثانية في (اولدبيلي) ، اذ لم يوافق المحلفون على تجريمه . وفي هذا الوقت كان عمر اوسكار وايلد احدى واربعين سنة . وقد كان الى جانبه في قفص الاتهام شاب مثقف في نحو الثالثة والاربعين يدعى (الفرد تيلر) الذي وجه له الاتهام

معه • وباستجواب اثنين من الدفاع اخبرهما القاضي « جاستس ويلز » انه يتوقع ان يجتازا اقسى حكم يسمح به القانون • (وفي قرار حكمي) اضاف القاضي : (انه غير مناسب لمثل هذه القضية ، وان حكم المحكمة هو ان كلا منكما يجب ان يعتقل ويودع السجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنتين » •

وحين صدر هذا الحكم همس بعض الناس من الحاضرين في المحكمة « اه • • » و « واخجلتاه ! » بعد ان تابع هؤلاء المتفرجون المحاكمة • لكن هؤلاء سرعان ما غيروا اراءهم ، واصلوا استحسانهم لقرار الحكم • وحينما وصلت اخبار صدور قرار الحكم وتجريم اوسكار وايلد الى الجمهور الذي كان ينتظر في شارع المحكمة ومقارق الطرق القريبة منها ، استقبلوه بعلامات الاستحسان ، حتى اخذ الفرع من جماعات منهم فشرعوا يرقصون في الشوارع • وبالإضافة الى ذلك فان عددا من العاهرات رفعن ثنوراتهن وهن طروبات ، حتى ان إحداهن صرخت وهي تثقهه بخضكة جشاء قائلة : سلما ايها الرجل !! وانه سيحلق شعره الآن ١٠٠ !

وفي الوقت ذاته حاول اوسكار وايلد ان يتفوه ببضع كلمات احتجاجية ، حينما سمع قرار الحكم ، الا ان الحيرة قد اذهلته • ولكن بإشارة من يد القاضي « جاستس ويلز » اقتاد الحارسان اوسكار وايلد الى الزنزانة ، حيث اودع الحبس الانفرادي • وهكذا بدأ يلاقي صنوف العنت والارهاق

داخل السجن • فكان يقدم اليه طعام لا يتناسب اطلاقا مع ذوق انسان كانت له مثل مكانة اوسكار وايلد الادبية • وقد كان الامر بمجموعه مكرسا لتحطيم شخصيته جسديا وروحيا • وبالإضافة الى هذا السجن ، فقد كان يجبر على ممارسة مختلف صنوف الاعمال الشاقة داخل السجن • وان الزنازاة التي كان يقضي فيها اوسكار وايلد ثلاثا وعشرين ساعة من مجموع الاربعة والعشرين ساعة يوميا ، كانت ذات تهوية رديئة ، وتفتقر الى ابسط الشروط الصحية ، اذ كانت دورة المياه بدائية ومزرية • اما الفراش الذي كان يرقد عليه ، فلم يكن الا وسيلة من وسائل التعذيب ، بفضل ما كان يعرضه السى الارق المرير • وكذلك لم يكن يسمح له بالكتابة الا مرة واحدة ، واستقبال الزيارات لمدة لا تتجاوز العشرين دقيقة في كل ثلاثة اشهر • ولا بد للرسائل التي يكتبها من ان تعرض على ادارة السجن قبل نقلها من داخل السجن الى خارجه • وهذا ما جعل اوسكار وايلد ، يعبر عن فظاعة السجن بعد خروجه منه بقوله : « ان احدى مآسي حياة السجن هي جعلها قلب الانسان كالحجر » • وان الاربعة رسائل في كل عام لا يمكن ان تبقي الانسان محافظا على رهاقة حسسه لاستقبال مظاهر الرقة والجمال التي تنعش الحياة المحطمة •

ولم يسمح لاوسكار وايلد في الثلاثة اشهر الاولى ان يصحب معه اي كتاب عدا الانجيل ، وكتاب صلاة وكتاب تراثيل • وبعد هذه الشهور الثلاثة سمح له باستعارة كتاب

واحد في الاسبوع من مكتبة السجن • وهذه الكتب التي تختارها ادارة السجن انما هي كتب دينية من الدرجة الثالثة • وهذا ما دعا اوسكار وايلد لان يكتب بعدئذ عن السجن فيقول :

« ان هدف نظام السجن الحديث هو تحطيم القوى العقلية ، حيث يعامل الانسان في السجن بفصله عن العالم وعزله عن الاتصال بكل ما هو انساني ، وايداعه في عالم قد اطبق صمته ، ومعاملته معاملة الحيوان البليد ، ووضعه في مستوى احط من اي مخلوق من المخلوقات ، ولعدم تمكنه من الهرب من السجن الانكليزي ، فانه ينتهي بالجنون » •

انتهت محاكمة اوسكار وايلد عصر يوم السبت كما اسلفنا ، لكن لان السجن كان قد اغلق ابوابه ، لذلك فقد اودع مغلول اليدين حتى عصر يوم الاثنين في زنزانة سجن « نيو غيت جيل » ، ثم نقل بعد ذلك في عربة من « بلاك ماريا » الى سجن (بنتوفيل) الذي اصبح مستقره الجديد • وحالما استقر في السجن كتب رسالة الى (فرانك هاريس) جاء فيها :

« لقد حلمت احلاما مريعة الازعاج ، ولا تدانيها اي من الاحلام التي حلمت بها • وفي اول ليلة دخلت السجن طلبوا مني ان اتعري امام ادارة السجن ، ثم ادخلوني في

ماء قذر يطلقون عليه اسم (الحمام) ثم جاءوا لي بخزقة رطبة ترابية اللون داكنة ، بعدها القوا الي بملابس العار .
اما الزنزانة فقد كانت رهيبة وكنت اجد صعوبة في التنفس فيها ، وقد قلب الطعام معدتي لان شم رائحته ومجرد رؤيته كانا كافيين لقيء اي انسان ، فلم اتمكن من الاكل لايام ، وايام ، وايام ، حتى ولا ازدراد قطعة خبز صغيرة ، بينما لا يمكن اكل بقية الطعام اطلاقا . وكنت انام على ما يدعى فراش . وانا اقاوسي من عذاب الليل الساجي الطويل . وبعد ايام عديدة شعرت بالجوع ، فلزم علي ان اكل شيئا ولو قليلا ، كئن تكون حريفة خبز ، واشرب قليلا من اي سائل ، كئن يكون شاي او قهوة او حساء ، ولا اقدر على التصريح اكثر من هذا . وحالما اكلت بعد هذا الجوع ، اصبت بحمى شديدة ، وسقطت طريح الفراش طيلة ذلك النهار والليل . ومنذ ان جافاني الكرى ، بدأ المهزال يدب في اعضائي ، واخذت تسيطر علي مخاوف موحشة . فالجوع اضعفني ، لكن ما كان امر ، هو المعاملة اللاانسانية التي يتفضل علي بها اشرس المخلوقات . ولم اكن اعرف اي شيء عنهم . ولم احلم بمثل تلك القسوة ابدا » .

وفي هذه الفترة ، وبعد اسبوعين من دخول اوسكار وايلد السجن ، كتبت الصحف الانكليزية ومن بينها « بول مول كازيت » و « ديلي كرونيكل » : ان اوسكار وايلد قد اصيب بالجئون . لكن الواقع ، وكما ايد طبيب السجن ان اوسكار

وايلد لم يكن يعاني من اية حالة من حالات الجنون ، بل كان يتمتع بصحة عقلية جيدة .

ان الزنزانة التي القي فيها اوسكار وايلد ، لم يعد طولها (١٣) ثلاثة عشر قدما وعرضها (٧) سبعة اقدام وارتفاعها (٩) تسعة اقدام . فهي بحجم (٨١٩) ثمانمائة وتسعة عشر قدما مكعبا من الهواء ، ولا يوجد للزنزانة سوى نافذة صغيرة جدا ، لا تسمح بدخول الهواء النقي بكمية كافية لتنفس السجين . وقد عبر اوسكار عن ذلك بعد ان خرج من السجن في قصيدته الشهيرة « انشودة سجين ريدتك جيل » :

ان الزنزانة التي كنا نقيم فيها
انما هي مرحاض مظلم قدر
وانفاس الموت التنتنة
تخترق الستار الحديدي
وقد تحول كل شيء - ما عدا الشهوة - الى رماد
في خضم المسيرة الانسانية

ولقد كان عليه ايضا ان يخضع لمراقبة الحرس من ثقب عبر باب الزنزانة الحديدية . وقد كان يعاني من الارق المستمر ، ومن قسوة الفراش الذي كان ينام عليه ، اما في النهار ، فقد كان عليه ان يركع على ركبتيه ثم يبدأ بمسح بلاط الزنزانة ، وبعد ذلك عليه ان يقوم بإدارة الدولاب لانجان

عشرة آلاف دورة في اليوم • وهذا الدولاب لا جدوى له في
انتاج اي شيء ، وهو لا يختلف ابدا عن عملية خياطة الاكياس
او حياكة الحصران ، وقتل الحبال التي يقوم بها السجناء
داخل زناناتهم الصامتة •

ان الماء الكريه الذي نشربه
والخبز المر الذي يزفونه بالميزان
يشويه خليط الكلس والطباشير

والنوم ليس بالاستلقاء على الظهر ، بل يكون بالسير
على قدمين

والعيون محدقة ، والصراخ مستمر طيلة ايام السجن
لقد اجبر اوسكار وايلد على قتل كمية معينة من الحبال
يومية ، على ان لا يتحدث مع اي انسان عدا ساعة واحدة
مخصصة للترييض •

في منتصف الليل وفي قلب كل انسان
وانوار الفجر تتسلل الى الزنزانة
علينا ان ندير ذراع الطاحونة او نقطع الحبال
كل في جحيمة المنعزل
والصمت الرهيب قاسيا ، هو اشد
من رنين الجرس النحاسي

انك لا تسمع صوت انسان من قريب
وهو يلفظ كلمة رقيقة

بل هناك عينان تراقبان من ثقب عبر الباب
انهما قاسيتان وصلفتان

وعندما ينسانا الجميع ، فاننا نشعر اننا نتهرأ ونتهرأ
بأرواحنا واجسامنا المشوهة

ان الفرد دوغلاس قد غادر لندن عشية محاكمة اوسكار
وايلد متجها نحو فرنسا بعد ان تزود بالنصح للبقاء هناك
بعد تجريم اوسكار وايلد . ولانه لم يكن يملك مالا اضافة
الى حصته القليلة من نصيب امه ، فقد كان من سوء الحظ
غير قادر على مساعدة اوسكار وايلد لانقاذه من ورطة
الافلاس . بل انه بدلا من ذلك قد شغل نفسه بكتابة « ادبيات »
الى « دار النشر الانكليزية » بعد ان تعهد المحررون نشر ما
يرد منه ، وكذلك كتب رسالة استرحام الى الملكة فكتوريا
يستعطف جلالتها لاعفاء الاديب الروائي والشاعر السجين .
وقد حاول المستر « اسكوت » في الثاني والعشرين من حزيران
عام ١٨٩٥ التنازل للحصول على العفو الملكي . وفي الحقيقة
كان هذا أحد اعمال الوزير الرسمية الاخيرة منذ ان سقطت
حكومة (روز بيرري) واستلمت مقاليد الحكم وزارة المحافظين .
وبعد شهر من وجود اوسكار وايلد في سجن بنتوفيل ، نقل
في الرابع من تموز الى سجن (وندسورت) Windsworth

الذي يقع شمالي نهر التيمس ، وهو يضم حوالي (١١٠٠)
 ألف ومائة سجين في زنزاناته . وفي هذا يتحدث اوسكار
 وايلد عن سلوك ادارة السجن والسجانين باستغراب ، اذ
 اخبر صديقه (فرانك هاريس) حينما « فاجأني احد السجانين
 يوما واقترب مني قائلا : اخلع حذاءيك ، فاطعت وخلعتهما ،
 ولكنني قلت لماذا ؟ فلم يجبني . فاخذهما السجان ، وطلب مني
 ان اتبعه ، فسرت خلفه ، ثم امرني بالوقوف في احد اروقة
 السجن وكان كلما سألته عن امر لم يجبني ، فارتعبت
 فرائصي خوفا رهلعا ، واستعرضت يومي وسلوكي طيلة هذا
 اليوم ، فلم اجد ما استحق عليه العقاب ، لكنني مع ذلك
 ظللت خائفا من العقاب . وفي هذا الممر كان البرد يصعقني ،
 حتى صرت لا اقدر على الوقوف على قدمي من وطأة برد
 الارض ، مع ان الجوريين ما زالوا يغطيان هاتين القدمين ،
 فاخذت اقف على احدى القدمين مرة ، وعلى القدم الثانية
 مرة اخرى . وبعد فترة جاءني الحارس بزوج جديد من
 الاحذية واعطانيهما ، ثم ابلغني بالعودة الى زنزانتني ، وأن
 البس حذاءي هذين الجديدين . وفعلا رجعت الى زنزانتني
 وانا اترنخ في كل اتجاه ، فعرفت ان هذه هي الطريقة الوحيدة
 التي تبدل فيها احذية السجين القديمة باحذية جديدة في
 السجن . وهذه هي الطريقة الوحيدة ايضا التي تريد بها
 ادارة السجن ان تبدي لك فيها عطفها »

وخلال الستة اشهر الاولى من السجن فكر اوسكار

وايلد بالانتحار لفرط ما كان يشعر به من تعاسة مرعبة وبؤس مريع ، على ما اخبر به الاديبي الفرنسي اندريه جيد بعد ذلك .
 الا ان ما جعله يعدل عن هذه الفكرة هو رؤية الآخرين من السجناء مثله ، وهم يعانون مثلما كان يعاني من البؤس والتعاسة فاشفق عليهم ، لكن احد هؤلاء الذين كان يتألم لحالهم اوقعه في ورطة ومازق حرج . فحينما كانت ساعة التريض في ساحة السجن ، وفي الوقت الذي انطلق السجناء يتهايمسون ، ولان اوسكار وايلد لم يكن يعرف طريقة الهمس هذه اذ يتطلب من المتكلم ان يتكلم دون ان يحرك شفتيه ، فآخذ اوسكار يتكلم ويحرك شفتيه ، فراه من كان مكلفا بحراستهم ومراقبتهم ، فأخذه ليلقى عقابه جزاء ما سولت له نفسه به من كلام لا يعرف مداره ، لكنه عوقب عقابين ، الاول لانه تكلم ، والعقاب الثاني لانه هو الذي بدأ الكلام .

كانت مسرحيات اوسكار وايلد واعماله الادبية تدر عليه كل عام (٢٠٠٠) الفين من الباونات ، وبعد سجنه وايقاف مبيعات كتبه لمنعها وعدم طبعتها من جديد ، لم يبق له سوى ميراث قليل جدا من والده ، يدر عليه في حدود ١٠٠ - ١٥٠ باون في العام يتقاسمها مناصفة مع اخيه (ويلي) وكان يرد زوجته المسز كونستانس وايلد حوالي (١٨٠٠) الف وثمانمائة باون في العام .

وبعد ثلاثة اشهر من سجنه سمح له باستقبال الزيارات

وتسلم الرسائل • وكانت اول رسالة تصله وفقا لذلك من اوتو هولاند لويدي ، وهو اخو زوجته الذي اخبره انه اذا ما كتب رسالة الى زوجته ، فانها لا شك لاجله ولالجل طفلتهما لن ترفض الرد عليه ، كما قال السير جورج لويس ، واكثر اصدقاء العائلة • واوسكار وايلد كان مغرما بزوجته ، ويشعر بالحزن لها مع انه كان يشعر بانها لم تكن تفهمه ، فهو يتعرض للموت بالحياة الزوجية • وهو لا يتحمل فكرة ابتعاده عن طفليه الصغيرين ، وبالاخص الولد البكر الاكبر « سيريل » ذو الشعر الذهبي المسترسل •

ان نص رسالة اوسكار وايلد الى زوجته لم تنشر ، لكن من المحتمل ان يكون قد هز اعماقها بتلك الرسالة • وفي هذا الوقت كانت زوجته كونستانس وايلد تقيم مع اصدقاء لها في القارة الاوروبية • وقد كتبت الى مدير السجن تطلب تصريحاً بالزيارة حينما تسنح لها فرصة السفر والعبور الى انكلترا مع صديق لها كان قد اعلن قبوله العناية بها خلال السفر • فرد مدير السجن ان زوجها كان قد استقبل توا زيارة ولا يسمح له بزيارة اخرى في نفس الفترة • لكنهما مع ذلك سافرت الى انكلترا على امل ان يتحقق رجاءها • فكتبت تقول : اريد ان اعلم ان زوجي يدري بمحاولة حصولي على وثيقة الطلاق منه في وقت قصير ، ولاني لم اصل في قراري الى هذه الخطوة ، انما اعتمد على الحوار الذي سيجري فيما بيننا شخصيا ، اذ انا مشتاقة لان احصل على

تصريح بمحادثته هو بالذات في جميع القضايا ، وناقش جميع الامور سواء ما يتعلق منها بالاعمال الادارية ام بالامور المتعلقة بطبيعته الشخصية ، اذ ربما نتمكن من تجنب هذه الخطوة النهائية الصارمة » .

ان الزيارة الاولى التي حظي بها اوسكار وايلد من صديقه « روبرت شيرارد » الذي اصبح فيما بعد كاتب سيرته، وقد اثنى اوسكار على شجاعته وشهامته في كتابه الرسالة الطويلة (من الاعماق) . وكانت تلك الزيارة في ٢٦ آب عام ١٨٩٥ بعد ثلاثة اشهر تقريبا من صدور قرار تجريم السجين . وان كان التصريح بالزيارة لاثنين ، الا انه لم يوافق اي صديق من اصدقاء اوسكار وايلد على زيارته . وكانت مدة الزيارة لا تتعدو العشرين دقيقة . وقد نقل كل من السجين والزائر روبرت شيرارد الى غرفة مفصولة بشبكة من الاسلاك تبعدهما بمقدار متر عن بعضهما . وكل الحديث الذي دار بينهما ، انما كان حول الادب . وفي يوم ١٦ ايلول من عام ١٨٩٥ وصلت كونستانس وايلد لندن لتجد امرا بانتظارها معنونا باسمها للسماح لها بزيارة سجن وندسورث . وقد تمت المقابلة فعلا في سجن وندسورث بعد يومين من وصولها لندن ، ولكن في ظروف مؤلمة مريرة الاحزان . وقد عبرت عن ذلك كونستانس وايلد لصديق اوسكار وايلد ، روبرت شيرارد فيما بعد قائلة : « لقد كان الامر فظيعا الى

درجة لم اكن احمل عنه مثل تلك الفكرة . . وانا لم اتمكن من رؤيته ، ولم اتمكن من لمسه . وقد كنت اتكلم معه بصعوبة . وفي المرة الثانية اذ عدت اليه ، كنت اتوقع ان القاه في غرفة لكي اتمتع برؤيته ولمسه . لقد كان مجنوناً هذه الثلاث سنوات الاخيرة . وكان يقول انه لو رأى الفرد دوغلاس لقتله . لذلك ارتوي ان من الافضل بقاءه بعيداً ، وان يقتنع بأنه يشوه حياته الجميلة . فقليل من الناس من كانوا يفخرون بذلك كثيراً جداً .»

بعد زيارة كونستانس لاوسكار وايلد بيوم او يومين ، حاول روبرت شيرارد اقناع كونستانس لان تصفح عن اوسكار ، وان توافق على زيارته ثانية ، اذ ان امرا خاصا قد صدر على اساس ان هناك امورا عاجلة ومهمة تستدعي الاتصال بالسجين . والامور العاجلة المهمة التي تستدعي الاتصال بالسجين انما هي تحقيق مقابلة كونستانس واوسكار وايلد . وقد كان بالامكان تسوية الخصومة بينهما ، لولا ان جاءت معلومات الى روبرت شيرارد تفيد ان الفرد دوغلاس كتب مقالة حول اوسكار وايلد تتضمن عدداً من رسائل اوسكار الى الفرد دوغلاس . وقد كان المفروض ان تنشر تلك المقالة في باريس في المجلة الشهرية المسماة « ميركور دي فرانس » . ولان نشر هذه الرسائل لم يكن برغبة اوسكار نفسه ، انما كان يعود الى لامبالاة الفرد دوغلاس ، خاصة وقد كان من ضمنها رسالتان قد استخدمهما اللورد كوينز

بيري موضوعا للشبهة في علاقتهما السيئة ، امام المحكمة .
فطلب اوسكار وايلد من روبرت شيرارد التأثير على الناشر
لمنع نشر هذه الرسائل . فالتقى اوسكار اللوم على الفرد
دوغلاس ، لان لامبالاته الساذجة هي التي جعلته يقدر ذلك
التقرير السيء بالنسبة لما كتبه اوسكار وايلد اليه . ومع كل
ذلك فان اوسكار وايلد كان مبتهجا جدا بزيارة صديقه روبرت
شيرارد وزوجته كونستانس وايلد .



في ١٣ تشرين الثاني عام ١٨٩٥ نقل اوسكار وايلد من
لندن اذ سارت به عربة السجن من الساعة الثانية صباحا
حتى الساعة الثانية والنصف ظهرا ، وهو واقف على قاع
العربة مرتديا ملابس المجرمين ، ويدها مقيدتان ، لكي يراه
الناس ويتفرجوا عليه . وقد اخرج من المستشفى دون أن
تسجل له أية ملاحظة مهمة . وكان يمثل صورة غريبة من
بين جميع الاشياء المحتملة . وحينما كان يراه الناس ، كانوا
يغرقون في الضحك ، واذا مر به قطار ، وراه من فيه ، فانهم
يظلمون يتطلعون اليه ، وقد طفحت وجوههم بالغرور . ولم يكن
أي شيء يفوق مرحهم وبهجتهم اثناء تلك الرؤية وذلك
التطلع . ان ذلك كان يحدث طبعا قبل ان يعرفوا من هو ا
وحالما كانوا يعرفون من هو ، فانهم كانوا يزدادون ضحكا .
وقد تعرض لمدة نصف الساعة لوابل مطر تشرين الثاني
الغزير ، وهو واقف على قاع العربة التي لم يكن سقفها بقادر

على حمايته من وابل المطر ، لانه كان شبكة من الاسلاك ، وهو يلاقي شراهة نظرات الناس الساخرة . وهذا ما اكد لروبرت شيرارد ان اوسكار وايلد كان يقاسي عذابا فظيعا بحيث لم يكن من المستغرب ان ينخرط اوسكار وايلد لمدة سنة كاملة بالبكاء في كل يوم وفي مثل تلك الساعة نفسها ، ولنفس المدة التي قضاها في العربة حينما نقل مقيد اليدين وهو يرتدي ملابس المجرمين ، وحيث كان يتعرض لسخرية واستهزاء كل من يمر به من العابرين . فصور اوسكار وايلد كل هذه العذابات التي لاقاها وهو سجين ، في رسالته الطويلة التي طبعت في كتاب بعنوان (من الاعماق) . وقد حاول الكثير من اصدقاء اوسكار وايلد ان يشفعوا له لدى الملكة فكتوريا لاطلاق سراحه ، لكن جميع تلك المحاولات والجهود بساءت بالفشل . وبزعامة صديقه (مور آدي) تكونت فرقة تطوعوا للدفاع عنه واصدار منشور موقع عليه من عدد قليل من المثقفين والادباء والفنانين ورجال الكنيسة . ومع ان جورج برنارد شو لم يكن صديقا لاوسكار وايلد مع انهما ايرلنديان الا ان برنارد شو كتب دفاعا ادبيا قيما قام بتعديله (مور آدي) وذلك بغرض انقاذ اوسكار وايلد من السجن، وتخليصه من العقوبة القاسية التي ال اليها وضعه ، واختتم برنارد شو هذا الدفاع بالدعوة الآتية :

« يا صاحبة الجلالة الرؤوم ، نرجو ان تشملي بعطفك الكريم السجين الذي يعاني اقسى انواع العذاب في سجن

يفتقر الى الشروط التي تليق بالاديب ، وهو يتعرض الى
لمخاطر جسدية وعقلية مريعة ،

لقد اخبر برنارد شو اخا اوسكار وايلد (ويلي) في هذا
الوقت بأنه هو ، وكذلك صديقه الفابي « اريف ستيفارت
هيدلام » الاشتراكي الذي كفله بعد المرافعة الاولى ، مستعدان
للتوقيع على طلب الاسترحام الى الملكة ، الذي لا جدوى منه ،
وذلك لكونهما غير مرغوب فيهما على النطاق السياسي ، الا
ان « ويلي وايلد » ما كان يعتقد بإمكان الحصول على التوقيع
على طلب الاسترحام . وقد اثبتت الاحداث صواب رأيه .
والشخص الوحيد الذي تمكن (مور آدي) من اقناعه هو
البرفسور يورك بارك استاذ التاريخ في جامعة اوكسفورد ،
كما قد وعد بالحصول على توقيعات مفكرين آخرين ، الا ان
اكثر الذين وعدوا بالتوقيع على الاسترحام خافوا من اعطاء
توقيعهم . ورفض عدد آخر التوقيع انطلاقا من اسس خلقية ،
وكان من بين هؤلاء الاخيرين فنان الرقائيلية الجديدة ورسام
الصور الدينية وليم هولمان هنت .

في هذه الاثناء بدأت حالة والدته اوسكار وايلد تنتقل
من سيء الى اسوأ . وفي بداية السنة الجديدة اصبحت يبرد
وزكام تطور الى اصابة بالتهاب القصبات الذي تبعته
مضاعفات اخرى . وحينما ثقل عليها المرض طلبت من ابنها
اوسكار ان يقوم بزيارتها . ومن الطبيعي ان ترفض ادارة

السجن رجاءها لان ذلك يتعارض وانظمة السجون . وحينما
أبلغت بهذا القرار وهي طريحة الفراش ، وتعاني من وطأة
المرض الشديد ، ادارت وجهها الى الجدار ، وهي تردد آخر
جملة قالتها : « ان السجن لا يساعد ولدي ! » ثم لفظت
انفاسها الاخيرة في الثالث من شباط ١٨٩٦ . ولما سمع
اوسكار نبأ موت والدته حزن حزنا شديدا لانه كان يحبها
كثيرا . ووفاء لذكرها كتب عن موتها في كتابه «من الاعماق» :

« ان موتها كان رهيبا لي ، ولكن مع اني امير اللغة ، الا
اني لا اتمكن من ان اعبر بأية كلمة عن الي المبرح وخجلي
المزير . . انها هي وابي اودعاني اسما نبيلًا وشريفا ، ليس
في الادب والفن وعلم الآثار والعلوم فقط ، انما في تاريخ
شعبي وبلدي وتطوره كأمة ايضا . انني سألحق بهذا
الاسم خزيا وعارا ابديين . وانني سأحط من قدره بين اناس
منحطين ، وانني سأغوص به في مستنقع قذر جدا . انني
سأمنحه الي بهائم ، فيجعلون منه اسما بهيميا ، وأمنحه الي
مجانين يجعلون منه كلمة مرادفة للجنون . فماذا علي ان
اقاسي ، واطل اقايسي ، ليس من اجل قلم للكتابة ولا ورق
للتدوين » .

لقد سمع اوسكار وايلد نبأ وفاة والدته من بين شفقتي
زوجته اثناء زيارتها له ، وهي التي اصبحت تعرف الان
(السيدة هولاند) بدلا من (السيدة وايلد) . وفي هذه

الزيارة قالت له زوجته ، انما يجب عليك ان تقرر حياة
الطفلين ، فطلب منها ان ترعاها خاصة ابنيهما الاكبر
« سيريل » ولا تقصد شخصيته كما افسدت الليدي كوينز بيرى
ابنها الفرد دوغلاس . ومع ذلك فان اوسكار وايلد يشعر
بعاطفة ورقة زوجته خلال ذلك اللقاء . وهكذا كانت تلك
الزيارة اخر مرة يرى فيها اوسكار وايلد زوجته . ولصعوبات
مختلفة لم يتمكن اوسكار من ان يلتقي بها بعد اطلاق سراحه .

لقد سجل اوسكار وايلد الكثير من صور السجن في
مجموعته الشعرية التي نشرت تحت عنوان (انشودة سجن
ريدك جيل)

لقد مزقنا الحبال المقيدة اربا اربا ،
بأظافرنا الدامية المحطمة
وحككنا الابواب ومسحنا الارض
وقد نظفنا القضبان البراقة
وغسلنا الألواح الخشبية مرة بعد مرة
وقعقنا بالجرادل
وخطنا الاكياس وكسرنا الاحجار
وادرنا مكائن الحفر
وعلقنا الصفائح وزعقنا بالترانيم الدينية
وكدحنا على الطاحونة :
لكن في قلب كل انسان

ظل الرعب يهيمن

وحينما عاد مرة بعد عصر احد الايام من العمل مع
بقية السجناء الى زنزاناتهم وهم يمرون بحفرة مكشوفة كتب
اوسكار :

ان الحفرة الصفراء ذات الفم المتثائب
قد فغرت فاما لتستقبل الاحياء
وكان الطين يصرخ يطلب الدم
والطوق الاسفلتي متعطش للدماء
ونحن نعلم ان الصفاء يبدأ قبل الفجر
فيكون شئق احد السجناء

اما نحن فقد سرنا الى الامام كما سارت ارواحنا
نحو الموت والرعب والهلاك
وزهب الجلال ذو الحقيية الصغيرة
يسير متثاقلا في الظلام

بينما ظل كل فرد يزحف مرتعدا من الخوف
نحو قبره المرصود •

تحت مثل هذه المعاناة الشاقة ، والحياة القاسية المريعة
كان يعيش اوسكار وايلد داخل السجن ويلقي من الحرمان
ومن ادنى درجات الظروف الحياتية للانسان ، بله الانسان
المثقف • فاندفع يكتب استرحاما الى ادارة السجن على

ورقتين ونصف الورقة من القطع الكبير مما كان يسمح له
بالكتابة عليهما ، جاء فيه :

« ان الاعمال السيئة التي جرم المسترحم من اجلها
لا تستدعي التعرض الى مثل تلك المعاملة المهينة ، لان تلك
الاعمال الخلقية السيئة انما هي نمط من انماط الجنون
الجنسي ، حيث تعتبر في فرنسا والنمسا وايطاليا مجرد
امراض وظيفية في عرف الطب المرضي الحديث ، ولا تعتبر
جرائم تستحق العقاب عن طريق المحاكم . وقد اكد ذلك كل
من العالمين لممبروزو وماكس نوردو ، باعتبار هذا التحلل
هو مرض يحتاج الى العلاج . وان المسترحم الذي الف اربع
مسرحيات مثلت بنجاح عظيم على مسارح انكلترا واميركا
واستراليا ، وفي جميع العواصم الاوروبية تقريبا ، لا يمكن
ان يحجز في سجن ليلاقي انواع العذابات الرهيبة التي جعلته
ينسى زوجته وطفليه . كذلك يحب انقاذ شرف هذا الاسم ،
وشرف اسم العائلة من التلوث الذي لحق بهما بسبب التحلل
الخلقي المرضي الذي تعرض له وان الاستمرار على
سجنه ربما سيقوده الى خراب تام ويكون جزاؤه رهبة الجنون
وتحطيم الروح . وان هذا المسترحم يتعرض الى حرمان من
الكثير من الشروط الضرورية للصحة البدنية والنفسية ، اذ
انه محروم من الكتابة ولا يسمح له بقراءة الكتب على هواه
عدا الكتب القليلة جدا ، والموجودة في مكتبة السجن التي ليست
ذات مستوى ادبي يلائم المثقف وبالإضافة الى ذلك فقد

قطع عن اية معرفة بالعالم الخارجي وما يجري في الحياة وقد حرم من رؤية والدته السيدة وايلد قبل وفاتها ، ثم توفيت ووريت ، التراب دون ان يسمح له برؤيتها . وقد جلب هذا عليه الخراب ، كما جلبه على ولديه الطفلين الصغيرين وزوجته الشابة وان الصمت المطبق الذي يتعرض له المسترحم لا شك يؤدي به الى فقدان سمعه ، فيصاب بالصمم . وتسبب له العزلة عن الحياة ، وكل ما هو انساني في مثل هذا القبر ، ليلا نهارا ، عذاب نتيجة الخوف من الجنون التام . لان عقله قد حجب عن كل المسائل الفكرية والثقافية وحتى العلاقات الجنسية في هذه الزنزانة ، خاصة اذا علمنا ان العقل مخلوق للتفكير ، فاذا لم تتوفر له الشروط الضرورية لصحة نشاطه الفكري ، فانه سيقع في مخاض مقاساة ومعاناة يسلمه الى انهيار عقلي ونفسي . فلا بد من نسيان الجرائم وغفرانها وترك هذا الانسان يعيش حرا ، وان لا يكون ضحية لعمل لم يقو على مجانبته . . . لذلك يجب ابعاد هذا الانسان عن مثل هذه الحياة المريرة والعزلة المريعة ، وانقاذ روحه المحطمة التي كانت ضحية لجسد تعيس بسبب الاعمال الشنيعة التي لم يتمكن من الانفلات والهروب منها .

ان المسترحم لن يتمكن من تحمل ذلك اطول . لذلك يطلب العفو والغفران من اجل انتهاء هذا الحكم ، وان يودع في مصحة لعلاج طيبا ، كما يجب ان يعتنى به من ناحية عاهته الجنسية . وهو يعلم ان حياته روائيا واديبا قد انتهت ،

وان اسمه قد حذف من سجلات الادب الانكليزي ، ولن يعاد مرة ثانية ، وان طفليه لا يمكن ان يحمل اسمهم ثانية في حياتيهما القادمتين ، حتى لو كانا في بلد قصي . وبالإضافة الى ذلك فهناك الفقر والحياة المرة ينتظرانه حينما يخرج من السجن وحيث لا فرح ولا جمال في الوجود ، وحيث قد سلبا منه الى الابد . لكنه مع ذلك ما زال يعتقد انه لن يجتاز هذا السجن الا ليدخل مستشفى المجانين . وان حياة السجن المرعبة تقسو عليه وتقسو على قلبه المحطم . هذا القلب المسكين . وان السجن لا يصنع من الانسان رجلا فاضلا ، بل قد يقوده الى الجنون ، لذلك يسترحم - هذا السجين - للسماح له بالتخلص من السجن ، اذ ما زال في صحته العقلية ، واذ ما زالت للكلمات معان وللكتب رسالة ، وحيث يمكن للعلاج الطبي ان يقوده الى حياة سليمة تغير رأيه ، فتعود صحته الى طبيعتها حيث لا يعرف الانسان النقاء والطهر ، وحيث يمكن ابعاد الجنون وابقاء النفس نقية ظاهرة .

ان المسترحم يلفت الانتباه الى انه بينما ترى صحته الجسمية جيدة ، فانه بدأ يفقد سمع اذنه اليمنى من جراء التهاب ادى الى عطب في غشاء الطبلة بحيث ان الطبيب الرسمي في السجن قرر انه لا يتمكن من تقديم أية مساعدة ، وانه لا شك سيفقد سمعه نهائيا . لذلك فان المسترحم يشعر بضرورة مساعدته في العلاج والعناية به من قبل اختصاصي خارج السجن . وقد اكد الطبيب الجراح الاختصاصي السير

وليم دالبي ، بأن عناية خاصة تبذل له يمكن ان تمنع فقدان سمعه الذي لا يعرف سببه . وان بقاءه بدون هذه العناية الخاصة في السجن تؤدي به الى اساءة في حالته السمعية وان المسترحم يخاف من ان تصاب الاذن الثانية بمثل هذا العطب فيقع فريسة صمم تام . . أما من ناحية بصره الذي يحتاج اليه كأي اديب ، ويحتاج الى العناية به ، فانه قاسى من الحياة في زنزانة مطلية بالحصى الابيض ، والضوء الخافت في الليل اللذين يسببان له ضعفا دائما في اعصاب العينين ، وهذا لا شك يحدث من جراء تعرض المسترحم الى الضوء الساطع في النهار اثناء التريض في باحة السجن الذي يزيد في هذا الضعف ، والالم في اعصابه البصرية . وفي الاربعة شهور الاخيرة أصبح ضعف بصره محور قلق رهيب ، خاصة اذا ما استمرت حياة السجن ، فيصاب بالعمى بالاضافة الى الصمم ، وهما بدورهما سيكونان عاملا في زيادة حالة الجنون واضطراب العقل .

ان الخطر الرئيسي الذي يواجه المسترحم هو الجنون ، اذ ان خوفه من الجنون ، وسجنه الطويل ، يرجو ان يكونا كفيلين باعتباره عقوبة كافية . وان عقوبة السجن يجب ان تنتهي الان ، وان لا يطول هذا الحكم حتى لا يورثه الجنون ، فيسلمه الى التفسخ الخلقي والشعور بالخل « .

اوسكار وايلد

لقد قدم هذا الاسترحام مع تقرير الطبيب الرسمي للسجن ، الذي اوضح ان المسترحم يتمتع بصحة عقلية جيدة ، وصحة بدنية ممتازة ، لكنه يضاف الى ذلك ادعاء المسترحم باصابة اذنه اليمنى بعطب في غشاء الطبلة ، ولا يوجد دليل على عطب الاذن اليسرى ، او اي عيب او خلل او اضطراب في الرؤية . لكن الاسترحام والتقرير الطبي لم يشفعا لاوسكار وايلد لاطلاق سراحه ، الا انهما ساعداه في الحصول على قليل من الامتيازات الشكلية في السجن ، وازافة الكتب التي كان يطلبها الى مكتبة السجن . وبعد أن قضى اوسكار وايلد ثمانية عشر شهرا من حكمه ، قدم استرحاما آخر يستعطف به ادارة السجن والسلطة القضائية لاخلاء سبيله ، قبيل عيد الميلاد على الاقل .

ان اوسكار وايلد كان قد دخل السجن بتاريخ ٢٥ مايس ١٨٩٥ ، وخرج منه في ٩ مايس ١٨٩٧ ، وقد قضى شهرا كاملا معتقلا قبل صدور الحكم عليه ولم يحتسب له هذا الشهر من ضمن مدة المحكومة . ولما اطلق سراحه ، قدم له عدد من اصدقائه الملابس اللازمة ومعطفا ، وما يحتاج اليه الانسان من وسائل حياتية اخرى ، كما قدم له صديقه (مور آدي) (٢٥) خمسة وعشرين باونا والعدد التي يحتاجها الانسان حتى يسافر ، اذ كان قد قرر اوسكار وايلد عدم البقاء في انكلترا ، انما الرحيل الى فرنسا ، ليسكن في باريس ، بعد ان حرم حتى من رؤية طفليه وزوجته كونستانس .

في عام ١٨٩٥ رفض وليم هولمان هنت التوقيع على الاسترحام الذي كان قد قدم الى الملكة فكتوريا لغرض انقاذ اوسكار وايلد من السجن . وهولمان هنت هو احد مؤسسي المدرسة ما قبل الرفائيلية في الرسم . اما سبب رفضه التوقيع على الاسترحام ، فقد كان لنزعة الدينية . وفي رأيه ان قضية اوسكار وايلد تخالف الدين . لكنه مع ذلك كتب رسالة وجهها الى السيد مور ادي يبين له فيها حقيقة رفضه :

درايكوت لودج

قولهام

١٨ تشرين الثاني ١٨٩٥

سيدي العزيز !

انا لم افشل في اعطاء نفسي الفرصة الكافية للافضاء لكم برأيي القاسي عليكم في القضية ، وذلك انطلاقا من الشعور بالاخوة الانسانية للحصول على تخفيض الحكم الصادر بحق اوسكار وايلد . ولكني يجب ان اكرر اعلان رأيي في ان القانون الذي طبق عليه ما كان جائرا ابدا . واؤكد ان التعمق في بحث هذه الحقائق التي تقنعني بأن العدالة مع المجرمين المنتمين الى طبقات المجتمع الاخرى ، تدعوني الى تأييد الالتماس لابعاد الشر بكامل مسؤوليتي الشخصية ، فيما اذا لعبت اي دور في محاولة اطلاق سراحه قبل اتمام مدة سجنه . وبينما يكون هذا العمل خيرا بالنسبة

المجرمين ، فانه لا يكون كذلك بالنسبة للاشخاص المعتدين بانفسهم ، ولافراد المجتمع الخاضعين للنظام ، وانا آسف لكوني مضطرا لرفض التوقيع على الاسترحام حيث اعارض فيه رغبتكم الصادرة من عواطفكم الرقيقة .

المخلص لكم
و • هولمان هنت

ان هولمان هنت فيما كتب هذه الرسالة ، نسي تماما المقتطف الذي الهمه صورته الشهيرة « نور العالم » الذي ينص :

« انا اتوقع ان امر من هذا العالم ، ولكن مرة واحدة . لذلك فان اي خير يمكن ان اقدمه ، او اي نيل اعرضه لاي مخلوق اعرفه ، يجعلني افعله الان . فدعني لا اؤجله ولا اهمله ، لاني سوف لا امر من هذا الطريق مرة ثانية » .

الفصل السادس

نهاية المأساة

اراد اوسكار وايلد ان تبقى العلاقة سرا بينه وبين الفرد دوغلاس . وقد صرح بذلك في العديد من الرسائل الى اصدقائه . فكتب في ١٨ شباط سنة ١٨٩٧ الى صديقه مور ادي ، يشرح الاسباب التي قادت للقيام بهذا العمل :

« لقد أخبرتك بأني سأشرع في الكتابة الى الفرد دوغلاس . فانا ما زلت مستمرا في كتابة الرسالة اليه . وانها اهم رسالة في حياتي حيث تعبر بصورة نهائية عن موقفي الفكري القادم نحو الحياة ، والطريق الذي أرغب فيه بمواجهة العالم مرة ثانية وتطور شخصيتي التي فقدتها ، وتعلمت ، وما أنوي الوصول اليه . وفي الاخير فانا ارى الهدف الحقيقي الذي تتجه نحوه روعي ، بكل بساطة وبصورة طبيعية ، علي ان انهي كتابة الرسالة ، لانه يتعين عليك ان تدرك ما سأصير اليه ، وما افضل ان اكونه في دخيلة نفسي ونيتي التي تعتمد حياتي كلها عليها . »

سأرسل الى روبي الذي عليه أن يقرأها بعناية ، ثم يستنسخها لي كلمة كلمة وبكل عناية ايضا ، ثم أقرأها انت ، لتري انها قد استنسخت بكل دقة ، ثم أرسلها نيابة عني الى الفرد دوغلاس . فانا لا اعرف عنوانه وأمل الانتهاء من كتابة الرسالة يوم الثلاثاء القادم » .

قرر اوسكار وايلد ارسال المخطوطة مع رسالته القادمة الى روبرت روس . وفي هذه الرسالة المؤرخة في ١ نيسان ١٨٩٧ ، وهي التي طبعت فيما بعد مستقلة في الطبقات الاخيرة بعنوان « من الاعماق De Profondés » . واخبر اوسكار وايلد صديقه روس ، انه يود ان يكون وصيه الادبي في حالة وفاته ، متمتعا بكل الصلاحيات للتصرف بمسرحياته وكتبه واوراقه . وفي الوقت نفسه بين الاسباب بكل وضوح التي دعت له لكتابة هذه الرسالة الفريدة الى الفرد دوغلاس ، بعد ان كان قد املى تلك الاسباب على مور آدي ، وقد كرر وبالتفصيل ايضا التعليمات التي يريد اتباعها لاستنساخها :

« حسنا ، اذا وافقت ان تكون وصيي الادبي ، فعليك ان تحتفظ بالوثيقة الوحيدة التي توضح تفسير سلوكي الغريب بالنسبة لكونينر بيرري والفرد دوغلاس . وحينما تقرأ الرسالة ستري التفسير النفسي المجرد لسلوكي الذي يظهر لمن يراقب من الخارج انه يجمع بين الحمافة المطلقة والتبجح السوقي . وستعرف الحقيقة في يوم ما - وليس ضروريا ان يكون ذلك

خلال حياتي ، او حياة الفرد دوغلاس • لكنني لست مستعدا للجلوس امام آلة التعذيب التي يضعونني فيها طيلة الوقت ، لسبب بسيط جدا ، هو لاني ورثت من ابي وامي اسما ذا صيت عال في عالم الادب والفن ، ولا اتمكن الى الابد ان اسمح لهذا الاسم لان يكون درعا او مخلب قط لعائلة كوينر بيرري • وانا لا ادافع عن سلوكي ولا ابرره ، انما انا افسره •

وفي الرسالة ايضا مقاطع معينة تتعلق بتطور تفكيري في السجن والتطور الحتمي لشخصيتي وموقفي الفكري الذي جد نحو الحياة • واريدك كما اريد الاخرين ، الذين ما زالوا يناصرونني ويتعاطفون وايامي ، ان يعلموا بالضبط في أية وضعية وفي أية حالة انوي مواجهة العالم • ومن وجهة نظر واحدة طبعا انا اعرف انه يوم اطلاق سراجي ، اني سأنقل من سجن الى سجن اخر ، وهناك اوقات يلوح لي ان كل العالم ليس اكبر من الزنزانة التي اعيش فيها ، وهي المليئة بكل ما يرييني • وانني ما زلت اعتقد ان الاله في البدء قد صنع العالم لكل انسان وحده ، وعلى كل واحد ان يبحث عن طريق للحياة في ذلك العالم الذي في داخلنا » •

بالنسبة لقضية الاستنساخ فان اوسكار وايلد كان يشعر « ان الشيء الوحيد الذي يجب عمله ، هو ان يكون بديعا ومكتوبا بالآلة الكاتبة » ، ويقترح ان تقوم بطبعها الفتاة ذاتها في الوكالة التي ارسل اليها مسرحيته الاخيرة لتطبعها بالآلة

الكاتبة ، على ان ترسل بعدئذ الى مور آدي في لندن ليقوم بالعمل تحت اشراف روبرت روس . وهو لا يعول على النساء كثيرا ، اذ انهن لا يتذكرن الاشياء المهمة . ويستمر اوسكار وايلد قائلا : « اؤكد لك ان ماكينة الآلة الكاتبة حينما تعمل فلن تكون اكثر ازعاجا من لحن مقطوعات عاطفية على آلة البيانو الذي تعزف عليه اخت او اقرب الاقربين » .

ان رسالة اوسكار وايلد ، هذه رسالة موسوعية . وهو يطلب ان تنظم طبعتها على هيئة (فصول) - وهي التي طبعت تحت عنوان - من الاعماق - كما اشرنا ، ثم ترسل نسخ من هذه الطبعة الى امرأتين صديقتين لاوسكار وايلد ، هما الأنسة آديلا شوستر والسيدة فوربيس فرانك روبرسون . « فأنا اعرف ان كلتا المرأتين اللطيفتين ستكونان متلهفتين لمعرفة كل شيء مما حدث لروحي ، ليس بالمعنى الديني ، بل بالمعنى الشعوري الروحي المنفصل عن الحلوليات التامة للجسد » . ومع ذلك فان الرسالة يجب ان تبقى « سرا غامضا عن العالم على العموم » . ومن الضروري ايداع نسختين مطبوعتين بالآلة الكاتبة من بين كل ما يطبع ، واحدة لدى روبرت روس والثانية يحتفظ بها لاوسكار وايلد نفسه . وحينما تدقق النسخ مع المخطوطة ، ترسل الرسالة الاصلية بعدئذ الى الفرد دوغلاس بواسطة « مور آدي » . ولا حاجة لخبار الفرد دوغلاس انه قد اخذت نسخة عنها ما لم يكتب ويتذمر من الظلم وتزييف الوقائع التي جاءت في الرسالة .

وعندئذ فقط يجب ان يبلغ ان هناك نسخة اخرى قد اخذت عنها .

وأنا أمل بكل احترام ان تجعل الرسالة الفرد دوغلاس (اخيرا) انسانا طيبا . فهي المرة الاولى التي يخبره فيها شخص ما بحقيقة نفسه . فاذا سمح له بالاعتقاد ان الرسالة انما هي مجرد سيل قلم يكتب على لوح خشبي ، وان وجهات نظري قد شوهها الحرمان في حياة السجن ، فلا خير يتبع ذلك . وأنا أمل ان احدا يدعه يعلم ان الرسالة هي وحدها التي يستحقها ، وان لم تكن عادلة ، فانه يستحق الظلم . فمن هو الذي يستحقها بالضبط أكثر من ذلك الذي يظلم غيره دائما . لكن مأمور السجن الميجور نلسن لم يسمح بارسال الرسالة الطويلة - من الاعماق - بل طلب الاحتفاظ بها حسب تعليمات السجن . فاستسلم اوسكار وايلد للأمر الواقع واودعها لدى مأمور السجن لحين اطلاق سراحه . وبعد القيام بترتيبات اطلاق السراح في دائرة هاركروف ، ارسلت احدى النسخ الى زوجة اوسكار وايلد لتوقيعتها ، وهي التي كانت قد قررت المجيء الى انكلترا لتنفيذ ذلك . فسأل هولمان ، دائرة هاركروف عن موعد عودتها ليتمكن هانسيل من الذهاب الى سجن ريدنك جيل ، يوم السبت في الخامس عشر من مايس ، قبيل موعد اطلاق سراح اوسكار وايلد . واذا كان اوسكار ينتظر وكيله في ذلك اليوم ، تسلم رسالة تبلغه ان هانسيل لن يتمكن من زيارته الا بعد عطلة نهاية الاسبوع ، أي

يوم الاثنين القادم • وهكذا خيم اليأس وخيبة الامل على اوسكار وايلد لعدم لقائه لهانسيل ، ذلك اليوم كما كتب اوسكار الى صديقه مور آدي ليلة السبت اذ قال ، ان يوم الاثنين بعيد جدا ، فانا اوجس خيفة من محاولة قيامه بعمل ما ، بعد اخذه توقيعي على وثيقة اطلاق السراح ، لترتيب قضية طلاق زوجتي • وبالإضافة الى ذلك فان مسألة الطفلين قد حسمت من قبل المحكمة نهائيا • فلقد اخذا مني ، واذا توفيت زوجتي ، فانهما سيوضعان تحت اشراف « ادريان هوب » • وهكذا تكون علاقتنا الشخصية قد حسمت باقى التعليمات بهذه الوثيقة • فاذا حاولت الكتابة اليها بدون اذنها ، او طلبت الإقامة الى جانبها بخلاف رغبتها ، فاني سأفقد حالا دخلي الوحيد البالغ ثلاثة باونات اسبوعيا • واذا ما تعاهدنا على الصداقة وعشنا سووية مرة ثانية ، فاني سأفقد دخلي بالقدر الذي يزعجها • فالموضوع هو فوق طاقة زوجتي وخارج ارادتها •

ان سبب تأجيل زيارة هانسيل يمكن ان يكون لان كونستانس وايلد ، رغبت في المجيء الى سجن «ريدنك جيل» فلم تتمكن من الوصول او قد وصلت انكلترا يوم السبت • وعلى كل حال فقد امكن التاكيد عن طريق السجنان الذي كان يقوم بالحراسة (في مدى الرؤية وليس في مدى السمع) ولغرض مقصود من هذه الزيارة اصطحبت السيدة كونستانس وايلد وكيها معها • لكنها لم ترغب في ان يراها

زوجها • ووفقا لقول السجان فان المقابلة وقعت في ما يعرف باسم « غرفة الوكلاء » اذ جلس اوسكار امام منضدة ورأسه بين يديه مقابل المصامي • وكان السجان وشبح متشح بالملابس السود ، يقفان خارج المر • وما كان ذلك الشبح سوى كونستانس وايلد ، وهي تذرف الدموع •

وحينما كانت المشاورات تجري بين اوسكار وايلد ومحاميه ، التفتت السيدة كونستانس وايلد الى السجان وقالت له وهي تتضرع بكل رقة : دعني القي نظرة خاطفة على زوجي ! فلم يرفض السجان الرقيق المشاعر ، لانه كان قد تأثر بالمنظر تأثرا عميقا • فترجع الى الوراء وهو يتوجس لكي يسمح لها بالمنظر من خلال الفتحة الزجاجية التي كانت في الباب •

وحسب ما جاء في كلام السجان ، القت السيدة كونستانس وايلد نظرة طويلة فاحصة الى الداخل ، فرأت الشاعر المحكوم في وضعية توحى بأنه كان يعاني من مشاعر الحزن العميقة ، لكنه لم ينتبه الى ان هناك عيتين تتطلعان اليه •

وفي تلك اللحظة كان اوسكار وايلد يوقع على وثيقة اطلاق سراحه • فانسحبت عندئذ السيدة كونستانس وايلد وهي تحاول كظم مشاعرها العميقة • وبعد دقائق قليلة غادرت السجن مع الوكيل بينما ظل زوجها اوسكار وايلد غير مدرك ولا شاعر بوجودها • أما بالنسبة للسجان ، فقد ظلت هذه الحادثة اكثر القصص حزنا ، عما كان يعرف عن السجين •

بعد ان اطلق سراح اوسكار وايلد ، الح عليه الكثير

من الاصدقاء ان يغادر انكلترا ، ليتخلص من ذكرى الكارثة التي ادت به الى دخول السجن ، على الاقل . ولقد كان من الافضل ايضا ان لا يتقابل الاثنان ، اوسكار وايلد والفرد دوغلاس . فان اوسكار رحل في التاسع من مايس ١٨٩٧ ، فذهب مع روبرت روس وريجي تيرنر الى (ديب) ، ثم الى قرية صغيرة في مقاطعة (بيرنيفال) على مبعدة قليل من الاميال من مدينة بيرنيفال . وهنا كان قد شرع اوسكار بالعمل الوحيد الذي انجزه بعد السجن . الا وهو انشودة سجن ريدنك جيل . ومن هنا ايضا كتب الى (بوزي) يطلب منه ان يلحق به . فالتقى الاثنان فعلا في رومن ، ثم انطلقا سويا الى نابولي . وهكذا عادت الحياة القديمة مع بوزي ، اذ حتى ذلك الوقت ، فمن المتوقع ان يتحمل اوسكار وايلد جميع نفقات بوزي ، الذي كان يعرضه في طريق العودة الى سلسلة من مشاهد العنف .

وحالما نفذت نفود اوسكار وايلد ، فان بوزي ، هجره ، فقرر اوسكار ان يذهب الى باريس حيث استقر فيها ، ولم يغادرها الا لزيارات قليلة للريفيرا وسويسرا . فقضى في باريس سنوات عمره القليلة الباقية ، اذ انه توفي وهو نزيل فندق الالزاس في شارع دي بون آرت (شارع الفنون الجميلة) ، وذلك في الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٠٠ ، بعد ان عانى من الالام المبرحة نتيجة اصابته بمرض التهاب السحايا الدماغية ، التي لم تمهله الا اياما معدودات . وقبيل

وفاته بتلك الايام القليلة ، نال غفران الكنيسة الكاثوليكية .

وفي نصف القرن الذي مر منذئذ ، اخذت تفاصيل
مأساته تتكشف تحت الاضواء بالتدريج . وان موت الفرد
دو غلاس في بداية عام ١٩٢٥ مكن ابن اخت المريكز كوينر
بيري من نشر الكثير من القضايا . وهذا ربما يدعنا الان ان
نقدر ان تفاصيل القصة قد رويت كاملة .

ومع ذلك ظل مركز اوسكار وايلد الادبي موضوعا
للمناقشة ، ان ان النقاد الذين وقفوا موقف ماريو برازا
المعروف ، حيث سلطوه اصالته ، فانهم ينظرون اليه باعتباره
رجلا موهوبا ، وان عبقريته ، ان كانت لديه عبقرية ، انما
هي عبقرية استيعاب . اما الباحثون الالمان فقد تولوا درس
مصادر اوسكار وايلد دراسة شاملة . والناقد البارز
تشارلس دو بوس ، يصرح ان عمل اوسكار وايلد لا يمكن
اعتباره قيما ، بينما يسلم الاديب الايرلندي الدبلني جورج
برنارد شو الذي يخالف اوسكار وايلد في مثله وافكاره ،
بان مكانته في المسرح انما هي تقف جنباً الى جنب مع مكانة
كونكريف ، وان حكمه البالغة القيمة والرائعة ، انما هي
بمستوى حكم لاروشو فوكولد .

ان كتابات اوسكار وايلد ما زالت ، وبكل تأكيد ، تثير

ولع واهتمام الجمهور ، فان مسرحية « أهمية ان يكون المرء جادا » ما زالت خالدة ، كما ان هزلياته الاخرى قد بعثت من جديد من خلال السنوات الاخيرة بنجاح متقطع النظير .
فبالنسبة لمسرحية (سالومي) فقد عرضت لأول مرة على مسرح (دو لوفر) في باريس منذ ان كان مؤلفها خلف قضبان السجن . وقد ترجمت الى اللغة الالمانية ثم اللغة الجيكية والهولندية والاعريقية والمجرية والبولندية والسويدية وكاتالونية واللغة اليدية (من لغات المانيا الاقليمية) . وما زاد هذه المسرحية روعة وجمالا هو موسيقى رتشارد شتراوس التي تستحق الشكر والثناء . وقد مثلت هذه المسرحية في المانيا وحدها - اكثر من أية مسرحية انكليزية بضمنها حتى مسرحيات شكسبير .

لقد ظلت كتابات اوسكار وايلد غير المسرحية ايضا تقرأ من قبل الاجيال المتعاقبة . وقد فتحت مسرحية (مفاهيم) وصورة دوريان كراي للكثير من الشبهة في جميع الامم الاوروبية عوالم وآفاقا واسعة من الاحساس ، والتذوق الجمالين . اما قصص اوسكار الاسطورية للاطفال مثل الامير السعيد والمارد الاناني وغيرهما ، فما زالت تثير البهجة لدى الاطفال بفضل اخيلتهما الجمالية الفذة ، مثلما يستمتع بها الكبار ، لشمولها على روح السخرية اللاذعة التي تظهر عن طريق روايتها .

واخيرا فان مكانة اوسكار وايلد كشخصية ادبية
تاريخية ، ما زالت فريدة من نوعها . فهو قد وقف كما
ادعى هو بذاته ، في قمة المذهب الرمزي في عصره ، وبدونه
لا يمكن ان نفهم الحركة الجمالية في ثمانينات القرن التاسع
عشر ولا الحركة الرمزية في تسعينات القرن نفسه . ولقد
كانت مكانته مرموقة في الادب ، سواء كان في الادب
الانكليزي ، ام في الادب العالمي .

واخيرا فان مكانة اوسكار وايلد كشخصية ادبية تاريخية ، ما زالت فريدة من نوعها . فهو قد وقف كمسا ادعى هو بذاته ، في قمة المذهب الرمزي في عصره ، وبدونه لا يمكن ان نفهم الحركة الجمالية في ثمانينات القرن التاسع عشر ولا الحركة الرمزية في تسعينات القرن نفسه . ولقد كانت مكانته مرموقة في الادب ، سواء كان في الادب الانكليزي ، ام في الادب العالمي .

الفصل السابع

من الاعماق

ان قصيدة اوسكار وايلد الشهيرة انشودة سجن ريدنك جيل ، ولم يكتبها في السجن بالضبط كما يخيل لبعض المؤرخين . والشيء الوحيد الذي كتبه اوسكار في زنزانيته على ورق السجون الازرق من القطع الكبير الذي كان يسمح له بورقة واحدة يوميا ، انما هو رسالة طويلة الى اللورد الفرد دوغلاس ، وهي تقع في (٢٥٠) مائتين وخمسين صفحة . وقد دعيت فيما بعد (من الاعماق) .

وهي العمل الادبي الوحيد الذي كتبه خلال السنوات القليلة الاخيرة من حياته ، الذي نتمكن من قراءته على انه نص ادبي متكامل .

لقد تساءل البعض عن صدق هذه الرسالة ، وشك آخرون في حقيقة ندم اوسكار وايلد . واعتقد هؤلاء ان « الفنان في مواقفه » لم يتخذ قط الا موقفا آخر . ولكن من المستحيل لاي انسان غير متعصب ان يقرأها دون ان يهتز

من اعماقه • والاعمال الكاملة المنشورة بشكلها الصريح التي لم تنشر ابدا قبلئذ ، انما هي تعبر عن الطيبة المثالية التي يتمتع بها اوسكار وايلد بالرغم من اخطائه ودناءة اللورد الفرد دوغلاس الاصيلية وانانيته وعقوقه •

حينما سلم اوسكار الرسالة الطويلة الى روبرت روس الذي كان في ديبب ، وقد كتب ، كما اشرنا ، هذه الرسالة في سجن ريدينك جيل ، الى اللورد الفرد دوغلاس ، لم يؤذن لروس بارسالها • وهذه في الواقع آخر عمل قام به له • فان روس ، هو الذي صاغ عنوانها المشهور (من الاعماق) ، اذ كان قد استله من مقاطعها المختارة ، حينما طبعت لاول مرة عام ١٩٠٥ اي بعد وفاة مؤلفها • وهي ايضا الذي اخذ الوثيقة معه حينما عاد الى لندن • وهنا كان قد استنسخها وفقا للتعليمات المفصلة التي تسلمها حينما كان اوسكار وايلد في سجن ريدينك جيل • ولان اوسكار كان مشتاقا او قلقا حول تطورات عملية الاستنساخ ، وحول ما اذا كانت الوثيقة جاهزة للارسال الى الفرد دوغلاس • وقد اتضح بعد ذلك مما كتبه على صورة ارسلها الى روبرت روس قبل حوالي الاسبوعين من مغادرة روس لمدينة برينفال وفي الخامس عشر من حزيران ١٨٩٧ كتب اوسكار وايلد :

« انك لم تخبرني ابدا بأي شيء حول كاتبة الطابعة ولا عن رسالتي • اتضرع اليك ان لا تحوك ضدي مؤامرات

الفصل السابع

من الاعماق

ان قصيدة اوسكار وايلد الشهيرة انشودة سجن ريدنك جيل ، ولم يكتبها في السجن بالضبط كما يخيل لبعض المؤرخين . والشيء الوحيد الذي كتبه اوسكار في زنازنته على ورق السجون الازرق من القطع الكبير الذي كان يسمح له بورقة واحدة يوميا ، انما هو رسالة طويلة الى اللورد الفرد دوغلاس ، وهي تقع في (٢٥٠) مائتين وخمسين صفحة . وقد دعيت فيما بعد (من الاعماق) .

وهي العمل الادبي الوحيد الذي كتبه خلال السنوات القليلة الاخيرة من حياته ، الذي نتمكن من قراءته على انه نص ادبي متكامل .

لقد تساءل البعض عن صدق هذه الرسالة ، وشك آخرون في حقيقة ندم اوسكار وايلد . واعتقد هؤلاء ان « الفنان في مواقفه » لم يتخذ قط الا موقفا آخر . ولكن من المستحيل لاي انسان غير متعصب ان يقرأها دون ان يهتز

من أعماقه • والأعمال الكاملة المنشورة بشكلها الصريح التي لم تنشر أبدا قبلئذ ، إنما هي تعبر عن الطيبة المثالية التي يتمتع بها أوسكار وايلد بالرغم من أخطائه ودناءة اللورد الفرد دوغلاس الأصيلة وأنانيته وعقوقه •

حينما سلم أوسكار الرسالة الطويلة الى روبرت روس الذي كان في ديبب ، وقد كتب ، كما أشرنا ، هذه الرسالة في سجن ريدينك جيل ، الى اللورد الفرد دوغلاس ، لم يؤذن لروس بإرسالها • وهذه في الواقع آخر عمل قام به له • فان روس ، هو الذي صاغ عنوانها المشهور (من الأعماق) ، إذ كان قد أستله من مقاطعها المختارة ، حينما طبعت لأول مرة عام ١٩٠٥ أي بعد وفاة مؤلفها • وهو أيضا الذي أخذ الوثيقة معه حينما عاد الى لندن • وهنا كان قد استنسخها وفقا للتعليمات المفصلة التي تسلمها حينما كان أوسكار وايلد في سجن ريدينك جيل • ولأن أوسكار كان مشتاقا أو قلقا حول تطورات عملية الاستنساخ ، وحول ما اذا كانت الوثيقة جاهزة للإرسال الى الفرد دوغلاس • وقد اتضح بعد ذلك مما كتبه على صورة أرسلها الى روبرت روس قبل حوالي الأسبوعين من مفادرة روس لمدينة برينفال وفي الخامس عشر من حزيران ١٨٩٧ كتب أوسكار وايلد :

« إنك لم تخبرني أبدا بأي شيء حول كاتبة الطباعة ولا عن رسالتي • اتضرع اليك ان لا تحوك ضدي مؤامرات

افظع • فأننا اشعر بالخوف • وعن طريق كتابة الناس الي
بما يسوؤني ، يمكنني ان اعلم بالشيء الاحسن » •

الا ان تأكيدات روس كما يظهر قد اقنعت اوسكار
وايلد • وعلى هذا الاساس ، فان اوسكار وايلد لم يعد الى
الموضوع مرة ثانية في الشهر الذي تلا ذلك ، ولا في مراسلاته
الطويلة التي واصلها حتى وفاته مع اي من اصدقائه المقربين ،
وحتى مع وصيه الادبي الموعود • ومما لا شك فيه ، انهما
قد ناقشا الامر ، حينما عاد روس الى ديبب ثانية • وكذلك
لا توجد اية اشارة اليهما في الرسائل التي كتبها اوسكار الى
الفرد دوكلاس بعد اطلاق سراحه من سجن ريدنك جيل •

لقد اخذ العمل وقتا ما ، حتى اكتمل منذ ان اطلق روس
الرسالة من بين يديه • فانه قد املى جميع الرسالة اولا ،
على كاتبة الطابعة التي طبعت نسخة واحدة ، وبعد ذلك اشر
على المقتطفات التي طلب اوسكار ان تستنسخ بصورة خاصة ،
وترسل الى قلة من الناس وهم من اقرب الاصدقاء الى
اوسكار مثل الأنسة اديلا شوستر ، وهي التي روت قصائد
النثر التي سمعتها من اوسكار وايلد ، وكتبتها فيما بعد عن
الذاكرة • وكانت ايضا من المحبين جدا لمسرحيات اوسكار •
وان اديلا شوستر سيدة كبيرة ، زارها فيفيان هولاند ابن
اوسكار وايلد عدة مرات في بيتها الجميل في ومبلدون • وقد كان
اوسكار كثيرا ما يبدي اسفه لانه لم يهد احد مؤلفاته الى
الأنسة اديلا شوستر ، لذلك حينما قام روبرت روس بطبع

مختارات اوسكار وايلد لاول مرة عام ١٩٠٨ اهدى كتاب
« دوق بادوا » اليها .

كان روبرت روس يعتبر ان تكون طبعة رسالة من الاعماق ،
اساس طبعة عامة نهائية وفق تحفظات روس . اما النسخ
الاضافية التي طبعت فقد كانت تشمل مقتطفات معينة فقط .
وحينما دقق هؤلاء المقتطفات المستنسخة على اصل الرسالة ،
ارسلوها الى اصحابها المشار اليهم . والظاهر ان النسخة
الثانية الكاملة قد طبعت عن النسخة الاصلية المطبوعة في
وكالة طباعة السيدة مارشال . وكان اوسكار قد كتب الى
روس في العشرين من تموز ، انه : من الافضل ان تطبع في
لندن ، بعد حذف اسم جوزي واسمي وعنواني منها . فان
السيدة مارشال يمكن الاعتماد عليها » . ووفقا لرأي روس ،
فقد ارسلت نسخة مطبوعة الى الفرد دوغلاس في التاسع من
آب عام ١٨٩٧ . وقد اشار هو الى زمن تسلمها . وان هذا
مهم في رأي دوغلاس الذي ينكر انه قدر رآها قط ، حتى زور
محاموه نسخة ، وهم الذين اطلعوه عليها خلال المرافعات
الاولى للقضية التي اثارها ضد السيد آرثر رانسوم ، ونادي
الكتاب الحديث عام ١٩١٣ . والظاهر ان الفرد دوغلاس في
الثامن من شباط عام ١٨٩٧ قال : انني اتطلع بانفعال الى
رسالة اوسكار . . واذا شرع بازعاجي فاني افضل ان لا
اراه . . وارجوك ان تدعني اعرف الوقت الذي اتسلم فيه
الرسالة بالضبط اذا كان ذلك بالامكان وبالبريد القادم .

لقد كان أوسكار وايلد تحت تأثير انطباع صديقه قد قرأ الرسالة في الوقت الذي أرسلها روس . وظهر من اللقاء العرضي الذي حدث بين أوسكار والفرد دوغلاس بعد لقائهما فإن دوغلاس كان قد لام أوسكار حول امر ما ، فأجاب أوسكار : انك بالتأكيد لم تقف ضدي حينما كتبت اليك وأنا في السجن ، حينما كنت اتعذب وأنا نصف مجنون ! يجب عليك ان تعلم اني اعني كل كلمة مما قلت » . لكن لماذا ارسل روس الى الفرد دوغلاس ، واحدة من النسختين المطبوعتين بدلا من الرسالة الاصلية التي طلب منه أوسكار وايلد ان يرسلها اليه في الاقتراح الاول ؟ ان هذا غير واضح . ولكن يمكن الافتراض انه كان في بيرينغال ، فقد يكون أوسكار وايلد قد غير رأيه وطلب من وصيه الادبي ان يحدد ارسال النسخة المطبوعة .

ان ما حدث بعدئذ هو ان الفرد دوغلاس قد قرأ عدة صفحات من أول النسخة المطبوعة التي تضمنت اقصى وأمر اتهام لسلوكه المخادع تجاه أوسكار وايلد . فلقد شعر بالالام ، والقى بالنسخة المطبوعة جانبا . وبعد هنيهة اخذها ثانية وقرأ صفحات أخرى . كانت رسالة مقذعة الى درجة لا تطاق في نصفها الثاني ، الذي لا يقل اقذاعا وتجريحا عن نصفها الاول من الترجمة الكاملة . وبانفعالية شديدة مزق الوثيقة العدوانية . وهذا الافتراض هو ما قرر فعلا الفرد دوغلاس وبدقة ، اذ اكد انه حينما كان مقيما في (نوجنت - سور -

مارن) تسلم رسالة طويلة من روبرت روس ، وهي التي تضمنت مقتطفات من رسالة اوسكار وايلد المعروفة باسم (من الاعماق) . فاعترف بأنه قرأ صفحات قلل ، ثم مزق كل الرسالة وهو يعاني من الغضب الشديد ، ورمى بالقصاصات في نهر (مارن) كما جاء ذلك في مذكرات الفرد دوغلاس نفسه اذ سجلها برسالة الى مور آدي في الثلاثين من حزيران ١٨٩٧ . ومن الواضح انه حينما فعل ذلك ، انه لم يقرأ المقتطفات المطبوعة منها ، منذ ان اشار من غير شك اليها ، حينما ظهرت الطبعة الاولى . وليس تصورا ولا اختلاقا او تخيلا ان يكون قد استعرض العمل ، ولم يكن باستطاعته ان يبدي رأيه بالمطبوع ، كما فعل في وقت نشر الكتاب ، حينما كان هذا الكتاب الممتع بالذات ، الذي طبع بعد وفاة مؤلفه . وان قناعة روس دلت على ان الصديق الذي لا اسم له ، قد وضعه روس نفسه في مقدمته ، انما هو اسم روبرت روس بالذات . ان هذا ما افترض في ذلك الوقت . لكن بعد طبع الترجمة المنقحة تنقيحا مهبيا جدا ، وبالشكل الذي وضعه روس ، ادى الى اتهام روس ايضا بارتكابه خدعة ادبية كبيرة ، خاصة حينما اعلنت الحقائق حول الرسالة وشاعت بين الناس في حياة الفرد دوغلاس في فيرانسوم ، بصدد اعمال التشهير عام ١٩١٣ . وليس هناك دليل بصدد ما قام به روس سواء كان ذلك بالنسبة لقضية ارسال النسخة المطبوعة الى الفرد دوغلاس ، أم بالنسبة الى الطبع الجزئي الذي نظمه اذ ان روس لم يلتزم بالاخلاص

والوفاء لللازمين للمؤلف ولم يحقق رغباته .

ولكن القيام بعملية النشر ذاتها ، كان رائعا . فلم تكن
إشارة من روس على ان (من الاعماق) في طبعتها المهدبة
تكون قد طبعت في انكلترا بعدما لا يقل عن الاربع سنوات من
وفاة المؤلف . وبكلمات روس ، فان اسم اوسكار وايلد
من سوء الحظ لم يوح بذكريات طيبة لدى الانكليز . فان
مركزه الادبي واجه صعوبات كبيرة للصمود حتى في ذروة
نجاحه في الحياة الادبية الروائية ، اذ تجاهله مواطنو السيد
راسكن ، حيث اصبح من الصعب فصل الانسان عن الفنان .
اما مركزه في القارة ، فقد كان يختلف تماما . فقد كان يحكم
على اعمال اوسكار وايلد وهي مستقلة عن حياته وسلوكه
الشخصي . ونحن قد رأينا ان تشمبرلن قد منع عرض
مسرحية سالومي على المستوى الجماهيري في انكلترا ، بينما
كانت تخرج فعلا في فرنسا ، في الحين الذي كان فيه المؤلف ينزل
السجن . وفي المانيا كانت مسرحية سالومي ايضا ومسرحياته
الاخرى كما كانت كتاباته النثرية والشعرية قد ترجمت في
السنوات الاولى من القرن العشرين فلاقى نجاحا باهرا ،
وبينما كانت كتبه في الواقع غير متناولة في انكلترا ،
ومسرحياته محرمة على مسارح لندن ، فانها ايضا كانت
تمثل أحيانا في المقاطعات الاخرى من انكلترا لكن دون ذكر
اسمه .

ومن ذكريات فيفيان هولاند في حديثه عن رسالة ابيه
اوسكار وايلد « من الاعماق » يقول :

« ان الحصول على كتب اوسكار وايلد في ذلك الوقت كان صعبا جدا . وان الطبعة الاولى من مجموعته لم تظهر ، كما ان اية طبعة مجازة لاي من اعماله لم يطبع ايضا منذ سنوات . والنسخ التي يمكن ان توجد في مخازن بيع الكتب القديمة ، انما هي نسخ رديئة الطبع ومزيفة وكثيرة الاخطاء ، فكتبت الى اخي سيريل ابلغه باكتشافي عددا من كتب ابي ، فأجابني بارساله نسخة من كتابه ، الرسالة الطويلة (من الاعماق) ، فقرأتها في عيد ميلادي التاسع عشر ، اي في حدود عام ١٩٠٦ . وكما نشرت رسالة من الاعماق في عام ١٩٠٥ ، فانها كانت تتضمن مقتطفات من الرسالة الطويلة التي كتبها ابي اوسكار في سجن ريدنك جيل ، الى الفرد دوغلاس ، يبين فيها كيف ساهم دوغلاس في تلك الكارثة . وقد طبعت الرسالة بكاملها ، لكن لاسباب مذكورة في الرسالة ذاتها لم تكن تبيح طبعا في حياة الفرد دوغلاس . وتضمنت طبعة من الاعماق عام ١٩٠٥ الكثير من المقتطفات الشاعرية كما هي في الرسالة . وحينما قرأتها صعقتني لكونها ذات تكلف ملحوظ . فانا اعتقد انه كان يعتمد جمال اللغة ، كانما كان قد كتبها من اجل الاسلوب الادبي المحض اكثر مما لو كانت تأملات مخصصة لشخص متوجع مهزوز . وبعد ذلك بسنتين بدأت اثنى تلك الرسالة خاصة بعد ان قابلت روبرت روس ، الذي اطلعني على الرسالة الكاملة ، فاعتبرتها عندئذ ذات قيمة حقيقية ، وادركت اية قطعة من عمل ادبي رائع هي !! واعتقد انه كان من الخطأ طبعا عام ١٩٠٥ بذلك

الشكل المختصر المشوه، وقد كان يمكن الانتظار حتى تظهر
الأيام ، تلك الحكاية »

وبصدد رسالة اوسكار وايلد (من الاعماق) للفرد
دوغلاس ، طلب فيفيان هولاند من أحد أصدقائه وهو جيرتز ،
ان يعرف شيئا عن هذه الرسالة بلسان الفرد دوغلاس نفسه ،
فأجابه الفرد دوغلاس برسالة هذا ملخصها :

رسالة الفرد دوغلاس

عزيزي السيد هولاند !

لقد ارسلت من اميركا نسخة من مقتطفات من الرسالة
التي كتبتها الى السيد جيرتز الذي الف كتابا عن فرانك
هاريس . انك تعتقد ان كتاب هاريس بعنوان « حياة واعترافات
اوسكار وايلد » يتضمن الحقيقة عن علاقتي بأبيك . فهل يجوز
لي ان الاحظ أولا ، انك لست في موقف يؤهلك للحكم على
تلك القضية ! فانك كنت آنئذ طفلا صغيرا ، فيما وقعت
القضية ، ولم تكن لديك المعرفة الشخصية عن هذه المسألة ،
وثانيا ، فان هاريس نفسه يوافق على ان حكايته عني ليست
حقيقية في كل تفاصيلها تقريبا . انه بالتأكيد يبالي في دعواه ،
لكن الحقيقة تبقى متفقة مع اكاذيبه و« اخطائي اذا فضلت
ان تدعوها انت كذلك » ، وهذه المطابقة تقوم بصورة رئيسية
على قوة دليل ما كنت اقدم من المال الى ابيك في مناسبات

مختلفة • وإن هذا الدليل ما زال حقيقيا ويمكن اثباته في اية لحظة •

انك تعتقد ان فرانك هاريس لم يتمكن من القدوم الى انكلترا (لاسباب سياسية) ولكن ربما انك لا تعلم ان ما منع هاريس من القدوم الى انكلترا ، انما هي اسباب لا تمت الى السياسة • لانه كان مطلوبا من قبل الشرطة • وهناك دعوى واحدة على الاقل تستلزم القاء القبض عليه واعتقاله لحظة ما تطلأ قدماه ارض انكلترا •

انا لم اكثرث بما قلت عن روس ، وذلك لانه غير حقيقي ، الا اني اقدر مشاعرك التي تتضمن احترامك له • ولكن لا يوجد مبرر من الناحية الثانية في ان تبدي احترامك لوغد حقير مثل هاريس ، الذي سرق المسرحية من ابيك وهي مسرحية (السيد والسيدة دافينتري) • وان هاريس هو سبب وفاته التي حدثت ، وان لم يكن هو السبب الاكيد لهذه الوفاة ، فلا شك انه قد عجل فيها لما سبب له من نقمة وغضب من هاريس • وان قصة تلك العلاقة المأساوية الكاملة كتبها السيد (بيل) امين سر هاريس الخاص في ذلك الوقت، وهي القصة التي كان المفروض ان تطبع في وقت اسرع •

انا اشعر بالاسف لانك مرغم على الاستثمار على اشغال نار الحقد في قلبك ضدي • فأنا كنت صديق ابيك

الحميم مثلما كنت صديق امك • وقد عرفتك حينما كنت طفلا •
والاسطورة التي نسجتها حولي وهي التي تتضمن علاقتي
بابيك ، هي كاذبة كليا تقريبا • فانا قد هاجمت اباك حقيقة
في كتابي (انا واوسكار وايلد) لكنني فعلت ذلك تحت سيطرة
الخوف ، الا اني الآن لا اعترف بهذا الكتاب •

فهل يمكن لي ان احظى بتخيلك عما تكنه لي من مشاعر
عدائية سيئة ؟ اما انا فاضمر لك شعورا بالطيبة والوفاء •

المخلص

الفرد دوغلاس

ومن حسن الحظ ان فيفيان هولاند ، كان يحتفظ بنسخة
من الرسالة التي ارسلها الى المؤلف الاميركي • فسارع فيفيان
هولاند الى ارسال هذه النسخة الى الفرد دوغلاس اخبره في
الوقت نفسه بان اهتمامه الكبير انصب على الاستماع الى
قصص متناقضة عديدة حول ابيه اوسكار ، كما قرأ تقارير
عديدة وبلاغات ومطالعات صبت في نفسي شكوكا بالنسبة
لوجود مثل هذا الشخص الذي يدعى اوسكار وايلد ! وقد
اضاف انه لا يعتقد بان اي لقاء بينه (فيفيان) وبين الفرد
دوغلاس يثمر في خدمة الغرض لكونهما في معسكرين
متناقضين ، وبالبعد الذي تورط فيه روبرت روس آنذاك •
وعن هذه الرسالة رد الفرد دوغلاس برسالة الى فيفيان
هولاند :

الرسالة الثانية

عزيزي السيد هولاند

شكرا لرسالتك التي توضح بشكل مقنع كل شيء ، كما بينت بكل دقة • وان جيرتز على كل حال ، باقتباسه مقتطفات من رسالتك وتذييلها بمقتطفات من رسائله قد نجح في ابلاغ التعبير الذي اوضحته انا في رسالتي الاولى اليك ، أي تحريضك لهاريس ضدي • وان جيرتز كما تقول ، هو شخصية غامضة • وهو الذي اربكني بأسئلته التي جعلتني اشعر بالاحترام الى درجة قصوى للجاجة دفاعا عن النفس ، لانه قد اعطاني الفرصة لفهمه ، وان لم اجب فانه سيضطرب الى طبع مقتطف هاريس الكاذب في (المقدمة) غير المتناقضة • وقد كان من الاسلم تماما ان لا اجيبه لانه كان قد فقد كل شيء تماما ولان وجهة نظر هاريس خاطئة بكل صراحة • وعلى كل حال ، فان هذا لا يهمك طبعاً وبأية حال من الاحوال • والشيء الوحيد الذي اريدك ان تفعله هو ان تكتب له وتخبره ، انك يجب ان لا تستخدم حسب الظاهر لكي يتمكن هاريس المار الذكر من استغلالك ضدي • وانا اخاف ان يكون تهديدك بطعنه في هذا البلد ، لن يمنعه من طبع رسالتك في اميركا •

هنالك شيء واحد في رسالتك لي ، اشعر بضرورة

مناقشته • فأنك تقول : (ان تصريحاتك في العديد من المناسبات جعلت من المستحيل لاي صديق من اصدقاء روس ان يكون صديقا لك) • لكن العديد من اصدقاء روس السابقين هم الان اصدقائي • فهناك ريجي تيرز الذي كتب لي رسالة صادقة حول سيرتي الذاتية • وهناك روي كينارد ، الذي كان مخلصا معي منذ ان رأيته مرة ثانية عام ١٩٢٥ • ويمكنني ان اذكر اسماء ثلاثة آخرين على الاقل • اما الاصدقاء الآخرون لروس ، فانهم قد بدلوا وجهات نظرهم منذ ان قرأوا كتابي ، ولو ان ذلك لا يريحني • وانت تختلف في حالتك ، مع اني لا وافق بأنه بإمكانني ان افعل اي شيء بشكل خاص لا يجعلك ان تكون صديقا لي •»

المخلص

الفرد دوغلاس

وبعد هذا كتب فيفيان هولاند الى اميركا رسالة اخرى الى الفرد دوغلاس ، لكنه لم يتسلم اي رد على رسالته تلك • وفي حياة الفرد دوغلاس ظهر الكتاب الموعود عن فرانك هاريس • وهذا الكتاب انما هو قطعة فريدة من الوقاحة ، ما كان يجب ان يكتبه الا هاريس حسب رأي النقاد والمؤرخين الانكليز •

راي الفرد دوغلاس في رسالة اوسكار وايلد

- من الاعماق -

في جزء مؤثر من الكتاب الممتع الذي ظهر بعد وفاة مؤلفه الذي صاغه على هيئة رسالة الى صديق مجهول الاسم فان اوسكار وايلد يشير الى وقوفه في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٨٩٥ لمدة نصف ساعة على منصة كلافام ، ويسداه مقيدتان ، وهو بملابس التجريم : وقد احاط به غوغاء الناس الهانئون الساخرون . فقد كتب اوسكار وايلد انه :

« لمدة سنة كاملة بعد ما حدث لي ، كنت ابكي كل يوم في الساعة نفسها ولمدة نفسها » .

كان هذا قبل ان يكتشف او يفكر باكتشاف التجارب الاليمة في السجن ، وعاره وخجله الذي هو جزء ، وجزء ضروري من حياته الفنية ، وكمال روحه الناقصة . وهكذا تعلم الخضوع في اقصى المدارس مرارة . وذلك ان (لانسانية الانسان) علمته المذلة والاستكانة ، بعد ان تجرع كأس العذاب حتى الثمالة ، وبعد ان جرح روحه فكتب هذا الكتاب الذي حاول فيه اقناع نفسه واقناع الآخرين انه قد تعلم عن طريق المقاساة والالم ما لم تعلمه له الحياة ولا المسرات .

فاذا عاد اوسكار وايلد الى الحياة بروح جديدة ، فلا

بد ان تكون روحا حاقدة تهفو الى تدبير المكائد البهيجنة
واللئيمة لاعدائه القدامى من اصحاب المطابع والناشرين
الذين نادرا ما يتمكنون من العثور على احسن من هذا
الكتاب . وانا شخصيا مقتنع من انها قد كتبت بوفاء عاطفي
في وقت من الاوقات ، وهي مع ذلك تمثل مجرد مزاج وشيئا
تافها للانسان الذي كتبها ، وحالة نفسية لا تنتهي في (٢٥٠)
مائتين وخمسين صفحة من الكتاب . (والانكليز مولعون
جدا بالانسان الذي يعترف بخطاه) . فجعل احدى شخصياته
في (زوج مثالي) ويقارن نوعا ما قيم العذابات
الاساسية بعلاقاتها بالموقف العام نحو ذاته . حسنا ، انه
هنا على خشبة التعذيب ، والسير كورتني هذا ايضا في الديلي
تلغراف ، ييدي ولعه التام لأول مرة . واوسكار وايلد
(العبقري) و (احد اعظم الروائيين الذين لا جدال فيهم في
العصر الحديث ، كما هو الان ، ارحم ما يكون ، ينقلب
بصورة استثنائية لاعترافه بخطاه ، وهو يحدثنا ان حياته
وقته كانا ناقصين بدون سجنه ، لانه في السجن تعلم الخضوع
والتواضع ، واكتشف مثالا جديدا من امثلة التعبير اثناء
العذاب . فهو قد (تطهر بالحزن ، وعوقب بالعذاب) ، ولكن
ما فشل في ملاحظته السير كورتني والآخرين ، فان اوسكار
وايلد نفسه قد لاحظ بعد ان كتب هذا الكتاب المتع ، او
بالاحرى الكتاب المؤلم العقيم ، ان الحالة النفسية التي
لعبت دورا في ظهور الكتاب ، لم تكن اكثر من الاعراض الاولى
من المرض العقلي والعضوي الذي سببه العذاب والحزن

للذان توجا ، نهاية الاديب الموهوب السيء الحظ ، بالموت
بعد سنوات قلائل .

وكما ظهرت روح التمرد لدى اوسكار وايلد ، كذلك
ظهرت شعلة العبقريّة الخالقة . وحينما تخبو روح التمرد ،
فان الشعلة تبدأ بالانطفاء ، وتستمر على الانطفاء بالتدريج ،
مع توقد بطيء حتى انطفائها النهائي . فكتب اوسكار وايلد :

« لقد تمكنت من جعل كل شيء وقع لي ، خيرا بالنسبة
لي ، فالسرير الخشبي والطعام الرديء وتمشييط الحبال
الغليظة ، بنفش اصوافها حتى تتخذ اصابع اليدين من الالم ،
والدوائر الحقيرة التي تبدأ كل يوم ، والاوامر الصارمة ،
بحيث ان الرقابة تظهر كأنما هي حاجة ماسة ، والملابس
المهينة ذات المظهر المتنافر البائس والصمت والعزلة والخجل
ان هذه الاشياء جميعا ، على ان احوّلها الى تجربة روحية .
وليس هناك أي تعذيب للجسد الا حوّلته الى وسيلة لتسامي
الروح » .

لكن واحسرتاه ! فان السرير الخشبي ، والطعام
الرديء ، والدوائر الحقيرة ، والتقاط ما يتخلف من تمشييط
الحبال الغليظة لا يطهر الروح بأي شكل من الاشكال ، وهي
لم تظهر روح اوسكار وايلد . والتأثير الوحيد الذي مكنهم
منه ، هو تحطيم ذكائه الرائع وحسه البارِع بالفكاهة . لكن

مع ذلك فهناك ملامح في مقتطفات متعددة تحمل روح الفكاهة بشكل غائم . وان استعادة الحرية قد اعاد له الحس بالفكاهة والشعور بالسخرية . وقد خدمه حطام ذكائه الفريد بصورة جيدة حتى اواخر ايام حياته ، مع انه قد فقد بصورة يائسة قوة التركيز الضرورية لانتاج العمل الادبي ، الا انه ظل حتى يوم وفاته المم واذكى محدث في اوربا .

وعلى كل حال ، فيجب ان لا يفترض ان هذا الكتاب ، ليس كتابا فريدا ، ولا يستحق القراءة التأملية . ففي هذا الكتاب مقتطفات نثرية جميلة ، تورث عباراتها لذة عرضية تذكرنا بكتاب اوسكار وايلد (بيت الرمان) وقصائد النثر ، اذ نجد هنا وهناك قصيدة رائعة بشكل منقطع النظير ، كما نعرضه فيما يلي :

« هناك مسيحيون قبل المسيح . ولذلك فعلينا ان نكون شاكرين ، والشيء السيء هو انه بعد ظهور المسيح ، لم يظهر مسيحيون حقيقيون » .

لكنه في الحق قد اُتلف القصيدة المبارعة باضافة
« انني اضع استثناء واحدا هو القديس فرنسيس الاوسييسي » .
وان التسليم باستبدادية الحقائق واهمية الاخلاص النسبية تجاه اي انسان ، انما هما ليسا من الصفات المميزة لاوسكار وايلد . وبالرغم من ذلك فان ملامح سيطرة قلمه لم تزل واضحة ، والكتاب يتضمن الكثير من الافكار العميقة ، ويدعو الى التأمل في فلسفة المسيح كما يتأملها المبشر الحديث ،

صاحب بشارة الحياة والادب • وعلى المرء ان لا يتوغل في القراءة اكثر من الصفحة الثالثة والثلاثين ، من الكتاب قبل ان يجد التناقضات الساطعة والمجفلة في الموقف العقلي للكاتب نحو قدره ، اذ انه في الصفحة الثامنة عشرة ، وفي مقاطع خطابية منمقة يتحدث عن (العار الابدي) الذي لـوث به (الاسم النبيل الشريف) الذي ورثه عن والديه • وفي الصفحة الثالثة والثلاثين يحدثه (العقل) • (ان القوانين التي وقع تحت طائلتها ، هي قوانين خاطئة وجائرة ، والنظام الذي عانى منه ، انما هو نظام خاطيء وجائر) ، لكن هذه هي روح التمرد التي لم تتحطم تماما ، انه يقول لو كان قد اطلق سراحه قبل سنة ، وهذا ما حدث فعلا تقريبا ، اذ لو غادر السجن في ذلك الوقت لاعتور ذاته غضب ومرارة ، دون ان ينال كنز الخضوع و (التواضع) الذي اكتشفه اخيرا • وانا اعاني حيرة غريبة لان اعرف انه قد اضطرب معه غضبه ومرارته الى خارج السجن • وهو في الحق ما كان ليكتب هذا الكتاب لو خرج من السجن قبل سنة ، لكنه كان يمكن ان يكتب بالتأكيد العديد من المسرحيات الهزلية التي لا تضاهي • ونحن الذين نجله كفنان عظيم في الادب نرثي لانحطاطه كرجل وجه ضربة قاصمة لا يمكن تفاديها الى الادب الانكليزي ، اذ لولا هذا الانحطاط لما صفحنا عن هذه التجربة المريرة بقراءة هذا الكتاب الذي مجده المديح بعد وفاة مؤلفه •• وهو الكتاب الذي لا يمكن ان يقاس الى المنزلة الرفيعة بالنسبة لاحسن كتبه •

الفصل الثامن

الخاتمة

حينما صدر الحكم على اوسكار وايلد عام ١٨٩٥ صدرت مقالات رئيسية في الصحف الصادرة آنئذ في انكلترا، تناولت اوسكار وايلد . فكتبت صحيفة (ايكو - الصدى) الالمانية المسائية ما يأتي :

« وهكذا انتهت اتعس قضية ، فقد انتصر اللورد كوينز بيرري وادين اوسكار وايلد وسحق . والشيء الحسن جدا لكل شخص الان هو ان ينسى كل شيء عن اوسكار وايلد . . . مواقفه الخالدة ، وتعاليمه الجمالية ، ونتاجاته المسرحية . دعوه يدخل عالم النسيان ، وسدوا اسماعكم عن اي شيء عنه » .

وفي يوم الاثنين التالي طلعت جريدة الديلي تلغراف بالمقالة الافتتاحية نقطف نصوصا منها :

« ان الرجل الان يقاس من اثم حياته ، ومن الحسن ان

يسمح له الآن ان يجتاز سلم الشهرة التي كان يتعشقها ،
الى اعراف الحقارة والنسيان اللتين يستحقهما . ان قبر
النسيان الذي يرشح بالحقارة يجب ان يطمر تباهيه الاحمق
وتبجحاته الفارغة ، وغروره المريض » .

وفي مدرسة بورتورا الملكية ازيل اسمه من لوحة
الشرف .

وفي عام ١٩٣٣ اعاد مدير مدرسة بورتورا الملكية
القس الموقر اي ، جي سيل اسم اوسكار وايلد الى لوحة
الشرف . وفي ايلول ١٩٥٣ كتب مدير مدرسة بورتورا القس
دي . ايل . كراهام الى ابن اوسكار وايلد فيفيان هولاند :

« لقد علقت الان صورة اوسكار وايلد في المدرسة ،
ونحن من وقت الى وقت اخر ، نقوم باخراج مسرحياته طيلة
الثلاثين سنة الاخيرة » .

اما كتب اوسكار وايلد عام ١٨٩٥ فقد كانت ممنوعة
من التداول ، ومسرحياته ممنوعة من العرض على المسارح ،
لذلك سكنت الصحافة عنه تماما ، حتى ظهور « انشودة
سجن ريدنك جيل » عام ١٨٩٨ .

واثناء تنفيذ الحكم عليه اصابه الافلاس ، وبدأ

الطباعون والناشرون المحتالون يعيدون طبع كتبه ويبيعونها علنا غير آبهين بقوانين حقوق الطبع . ولم يكن هناك شيء يمنهم من القيام بذلك العمل . وعهد بأعماله الادبية الى السلطة الرسمية لتنظيم تصفية امواله بعد اعلان افلاسه ، وهم يعتقدون ان مؤلفاته كانت غير ذات قيمة ، ولن يقتني مثل هذه الكتب سوى الحمقى والذين لا يابهون بتبذير اموالهم وارقاتهم ، وهم احرار في عمل ذلك .

وقد استقبلت الصحافة انشودة سجن ريدينك جيل بعد ان صدرت بعد خروج اوسكار وايلد من السجن ، بحذر شديد ، الا انه ظهرت وجهات نظر جيدة تجاهها في كل من جريدة (الديلي تلغراف) و (ايكو) وهي التي سخفت وسخرت من اعماله الادبية قبل ثلاث سنوات . اما جريدة التيمس ، فقد تجاهلت القصيدة نهائيا . وفي كانون الاول من عام ١٩٠٠ وبعد يوم واحد من وفاة اوسكار وايلد كتبت جريدة التيمس مقالة طويلة في نعيه ، قرظت فيها مسرحياته بكلمات هذه مقتطفات من نصوصها :

« كانت مسرحياته مشحونة بالاقوال الطريفة ، وان ذكاه قد منحه مركزا مرموقا في عالم الرواية . وبنتيجة المحاكمة كانت قد منعت مسرحياته من العرض لعدة سنوات ، بينما كانت مسرحيته (اهمية ان يكون المرء جادا) تعرض في محافظات انكلترا الاخرى . »

وحينما طلب (روبرت روس) من محكمة الافلاس

ان يتولى الوصاية الادبية على اعمال اوسكار وايلد ،
ظهرت على وجوه اعضاء المحكمة علامات الدهشة والسخرية
واكدوا له ان هذه المؤلفات لن تدر عليه اية ارباح ، لكنه
مع ذلك منح هذا الحق .

وبمناسبة الذكرى الخمسينية لوفاة اوسكار وايلد في
تشرين الثاني عام ١٩٥٠ كرس الملحق الادبي لجريدة التيمس
ثلاث صفحات للحديث عن اوسكار وايلد ومؤلفاته الادبية
مثمنا مكانته في الادب الانكليزي .

وفي عام ١٩٥٤ احتفل بالذكرى المئوية الاولى لميلاد
اوسكار وايلد بمختلف الصور والاشكال ، وفي مختلف
الاقطار . وفي لندن بالذات وضع المجلس البلدي لوحة على
الدار التي كان يسكن فيها اوسكار وايلد في شارع ثايت .
وعرضت في النهاية مخطوطاته وكتبه في معرض مكتبة كلية
ترنتي في دبلن في ايرلندا . صيف العام نفسه .

قصيدتا نثر لاوسكار وايلد تنشران لأول مرة الشاعر

عاش الشاعر في الريف بين المروج والغابات ، لكنه
صباح كل يوم كان يذهب الى مدينة عظيمة تقع على مبعده

عدة أميال ، وهي رابضة فوق التلال ، وقد غطاها ضباب
ازرق . وما كان يعود الا في المساء . وحينما كان يظهر
الشفق الاحمر في السماء ، يتجمع حوله الاطفال والناس
من مختلف الاعمار بينما هو يحدثهم عن الاشياء المدهشة
التي كان قد رآها ذلك اليوم في الغابات وعلى ضفاف النهر ،
وعلى قمم التلال .

كان يحدثهم ايضا عن الجنيات السمر الصغيرات ،
وهي تصاصىء وتتلصص عليه ، بينما هي مختفية بين
الاوراق الياضعة الخضرة على ارض الغابة .

وكان يحدثهم عن الحوريات ذوات الشعر الاخضر
اللائي يطلعن من اعماق البحيرة التي تتلأأ صفحتها ، وهن
يغنين له على الحانن التي يعزفنها على قيثاراتهن .

وكان يحدثهم عن وحش السنتور الذي قابله على قمة
القل ، وهو يخب ضاحكا بين سحب الغبار .

وكان الشاعرا يحدث الاطفال والناس من مختلف الاعمار
عن هذه الاشياء ، والاشياء الكثيرة ، وهي اكثر دهاءة ،
وهم يتزاحمون حوله كل مساء ، بينما يزداد الظلام حلكة ،
وتنسحب انوار الشفق الداكنة .

وكان يحدثهم بحكايات عجيبة عن اشياء مدهشة يختلفها

خياله الذي افعمته الاخيلة الجميلة .

وفي احد الايام ، بينما كان الشاعر عائدا من المدينة العظيمة عبر الغابة ، رأى الجنيات السمر الصغيرات فعلا ، وهن يحدقن فيه وهن مختفيات بين الاوراق اليبانة الخضرة . وحينما عاد الى البحيرة ، فأن الحوريات ذوات الشعر الاخضر ، طلعن من اعماق الماء المتلألئ الصفحة ، وشرعن يغنين له على الحان قيثارتهن . وحينما وصل قمة التل ، ظهر السنثور ، واخذ يمشي خيبا بين سحب الغبار ، وقد انفجر ضاحكا .

وفي ذلك المساء حينما تجمع الاطفال والناس من مختلف الاعمار حوله تحت انوار الشفق الداكنة ، ليستمعوا اليه وهو يحدثهم عن الاشياء المدهشة التي رآها ذلك اليوم ، قال الشاعر لهم : « ليس لدى شيء احدثكم به ، لاني في هذا اليوم ما رأيت شيئا . لانه في ذلك اليوم ، ولاول مرة في حياته ، كان قد رأى الحقيقة فعلا . اذ بالنسبة للشاعر فان الخيال هو الحقيقة ، والحقيقة لا شيء عنده . »

جيزابيل

جلست الملكة على المنصة الرخامية ، وهي تتطلع الى الحقول النضرة التي تمتد محيطة بالقصر الفينان . وكان شعرها الاحمر الدامي ينسدل في جدائل غليظة حول محياها

الابيض الجميل • وكانت تلف قدما من قمة رأسها ، حتى
قدميها برداء منسوج من الذهب ، وتزين عنقها جديلة طويلة
من الزمرد ، وهي تبرق وتلتع في ضوء الشفق كأنها الافاعي
الخضر ، وهي ترقص • وكانت يداها الطويلتان محلاتين
بعقود من الجواهر ، فتبدو كأنها تمثال رائع الجمال ، وهي في
فتنتها وجمالها الفتاك •

كانت تنهد من اعماقها ، ثم اطلقت تنهيدة عميقة ،
فقال لها الملك اهاب :

« لماذا تنهدت يا مليكة الجمال ؟

الا يوجد في السماء ، ولا على الارض البتة من يستحق
ان يفوز بقلبك ؟ اليس الذهب الذي يباع ويشترى هو جهود
مضنية لايدي الصناع المعدمين ؟ فان لم يكن هناك البتة من
تهفو اليه روحك ، أولم اكن انا الذي قد منحك هذا الحب ؟
ا فلم اكن انا عبدك ، وانا ملك سوريا ؟ » •

فاجابت الملكة بصوت واهن بطيء مثل من اضنته
الاحزان المريرة وقد ابتلته تخمة تحقيق اللذات حتى الموت :

« ان هذا صحيح ايها الملك ! فان كل ما في الارض هو
ملك يدي من الجواهر والذهب وثياب صور الارجوانية
والانسجة الفضية • والقصور الرخامية التي تعج بالعبيد

والفتيات الراقصات • واملك حدائق الزهور واشجار النخيل
وبساتين البرتقال حيث تفوح العطور الفاغمة عند الظهيرة •

وانا امتلك الجمال التي تتأرجح بهوادجها ، وهي تعبر
الصحراء الشاسعة بدون انقطاع ، وهي تحمل اثقالا من
العطور والكنوز التي تدخل المسرة الى نفسي • وان كل
رجل انما هو عبد لي ، لاني اتمتع بسلطان الجمال • وحتى
انت ايها الملك : تسجد امامي حتى تمرغ جبينك بالرغام ، مع
انك (اهاب) ملك سوريا المهيمن •

لكن يوجد قرب قصري عريشة كرم ، تظلل المرج اليناع
الخضرة ، وهنا وهناك يسجع الحمام ، وهي ملك شخص
آخر ، وهذا هو سبب تنهدي •

فاجاب (اهاب) :

« لا تنهدي يا جيزابيل ! ولتتاكدي جدا بان عريشة
الكرم ستكون لك حيث المرج اليناع الخضرة ، والحمام يسجع
هنا وهناك ، انها حقل نابوث ، حامل راية جيوشي وصديقي
الحميم ، لانه انقذ حياتي مرتين اثناء القتال » •

ثم ارسل في طلب نابوث السوري •

ونابوث كان شابا يافعا لما يجاوز العشرين من العمر ،

وهو طيب ، لا يستحق ان ننظر اليه بريية ، وهو يقف امام
الملك بقوته ، وامتداد قامته •

فأجاب الملك قائلا :

« ان الملكة ترغب في عريشة الكرم هذه ، لذلك سأدفع
لك ما تستحق من النقود الذهبية والجواهر النفيسة ، بدلا
من الارض ، واعطيك اي شيء اخر تريده انت سواء كان
شيئا معنويا ام شيئا ماديا نفيسا ، لان الملكة ترغب في امتلاك
عريشة كرمك » •

لكن نابوث قال :

« كلا ايها الملك ، فان عريشة الكرم هذه هي ارث والذي
لي وهي كل ما املك ، ولن ابادلها بشيء اخر ، حتى لو وهبت
لي كنوز الدنيا جميعا » •

عندئذ تحدثت الملكة جيزابيل بصوت منخفض رقيق ،
كأنما هو نسمة رخاء في امسية من اماسي الصيف البليلة :

« لا تبتئس ايها الملك ، فان عريشة الكرم ملكه ، ويجب
ان لا تؤخذ منه عنوة ، ولندعه يذهب في امان » •

فذهب (اهاب) مثلما ذهب نابوث •

ولكن في اخر النهار ، دعت جيزابيل ، نابوث ، فوقف امامها . فقالت له :

« تعال هنا واجلس بجانبى على هذا العرش المصنوع من العاج والذهب » .

لكن نابوث اجاب :

« كلا ايها الملكة ، اذ ان هذا ما لا افعله ، لان العرش المصنوع من العاج والذهب ، هو عرش (اهاب) ملك سوريا . ولن يجلس عليه الى جانبك اي انسان عدا الملك » .

لكن الملكة قالت :

« انا الملكة جيزابيل ، امرك ان تجلس » .

جلس الى جانبها على العرش المصنوع من العاج والذهب ، فقالت الملكة لنابوث :

« هذا كأس شراب منحوت من حجر الارجوان الفريد ، فاشرب منه ا » .

لكن نابوث اجاب :

« كلا ، ان هذا هو كأس شراب (اهاب) ملك سوريا ،
فلن يشرب منه اي انسان عدا الملك وحده » .

لكن الملكة قالت :

« انا الملكة جيزابيل امرك ان تشرب منه » .

فشرب من كأس الشراب المنحوت من حجر الارجوان
الفريد . ثم قالت الملكة لنايوث :

« انا الان سعيدة ، ولا يوجد احد اسعد مني على وجه
الارض . فهيا قبلني ا » .

لكن نايوث اجاب :

« انك زوجة (اهاب) ملك سوريا ، وليس من حق
اي انسان ان يقبلك عدا الملك » .

فقالت الملكة :

« انا الملكة جيزابيل امرك ان تقبلني » .

وطوقت بذراعيها العاجيتين عنقه بحيث لم يفلت منها ،
ثم صرخت بصوت عال قائلة :

« يا اهاب ١٠٠ يا اهاب ١٠٠ » .

فلما سمعها الملك اقبل مسرعا ، فرأى شفيتها مطبقتين
على شفتي نابوث ، وذراعيها الغاجيتين تطوقان عنقه • فجن
من الغضب الاعمق ، ورشق نابوث السوري برمح ، فأسلم
الروح حالا ، وسقط غارقا في بركة من دمه الذي غطى الارض
الرخامية • وحينما رأى الملك صديقه الحميم قد صرع وسقط
مضرجا بدمائه بعد ان قتله برمح ، زايله عندئذ الغضب ،
وامتلا قلبه أسى وروحه كريا ، فصرخ :

« اواه يا نابوث ! يا حامل راية جيوشي ، وصديقي
الحميم الذي انقذ حياتي مرتين في القتال • لقد قتلتك بهاتين
اليدين ، وهذه الدماء التي تسيل ، انما هي دماء قلبك الفتى
الشجاع • فيا ليتها كانت دمائي ، وليتني كنت انا الصريع
الذي اتخبط في دمائي ، حيث انت الآن ! »

واخذ الاسى يحز في نفسه بعمق ، وملأ نواحه الكون •
لكن الملكة جيزابيل ابتسمت ابتسامة عذبة غريبة ، وبصوت
كأنه تنهيدة نسمة رخاء وهي تهب في أمسية من أماسي الصيف
الوسنانه ، ثم قالت :

« كلا ايها الملك ، فان نواحك جنون ، ودموعك عبث ،
وحري بك ان تضحك لان عريشة الكرم ، حيث المرج اليانع
الخضرة ، وحيث يسجع الحمام هنا وهناك ، اصبح ملكا
خاصا لي » :

المراجع

- ٣ - صورة دوريان كراي : اوسكار وايلد ترجمة د . لويس عوض - دار الكتاب المصري - القاهرة .
- ٤ - شبح كانتر فيل : اوسكار وايلد ترجمة د . لويس عوض - دار الكتاب المصري - القاهرة .
- ٥ - مروحة البليثيل وندرمير : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس - روائع المسرح العالمي - القاهرة .
- ٦ - اهمية ان يكون الانسان جادا : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس - روائع المسرح العالمي - القاهرة .
- ٧ - زوج مثالي : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس - مجموعة الالف كتاب - ١٩٦٧
- ٨ - امرأة غير ذات قيمة : اوسكار وايلد ترجمة خيرى حماد - دار مكتبة الحياة - بيروت .
- ٩ - سالومي : اوسكار وايلد ترجمة خيرى حماد - دار مكتبة الحياة - بيروت .

فهرست

الصفحة

٧	المقدمة
٢١	الفصل الاول : أصل اوسكار وايلد
٣٥	الفصل الثاني : نشأته وثقافته
٤٩	الفصل الثالث : شخصية اوسكار وايلد
٦٧	الفصل الرابع : اعماله الادبية
٨٩	الفصل الخامس : الكارثة
١١٩	الفصل السادس : نهاية المأساة
١٣١	الفصل السابع : من الاعماق
١٤٩	الفصل الثامن : الخاتمة
١٦٣	الفهرست

هذا الكتاب

ان تراث الفكر السياسي الذي كان قد اكتسبه
اوسكار وايلد من بيئته ، لا شك لم يكن عديم الاثر في
تكوينه النفسي والاجتماعي والسياسي . فان ايرلندا
كانت وما زالت تعتبر نفسها مهضومة الحقوق بالنسبة
لانكلترا . وهذا ما خلق الروح الثورية عند الايرلنديين
عامة . وليست السخرية والنقد الاجتماعي الا صورة
من صور هذه الروح الثورية التي كان ابرز اشخاصها
من الادباء والمفكرين برنارد شو وجيمس جويس ثم
اوسكار وايلد . وبلاضافة الى ذلك فان ام اوسكار
وايلد نفسها كانت شخصية سياسية وذات قلم سياسي
سيال .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر : الثمن : [REDACTED]

أو ما يعادلها

شعار المؤسسة - بنابرية مكتبة ومكتبة
من الطباعة - ٥١١٠ - بيروت - ١٩٦١
مكتبة المؤسسة